الاستِعَاذَاتُ النَّبَوِيَّة

"دراسةٌ تحليليةٌ

د/هشام علي فتح الله أبو خشبة

قسم اللغة العربيّة وآدابها–كلية الآداب– جامعة الإسكندرية

المُلَخّص:

الاستعاذات النبوية في المحلّ الأرفع من البيان؛ ففيها صفاءُ اللفظ ونقاؤه إفرادًا وتركيبًا، ووضوحُ المعنى وظهورُ المغزى، وقد وقف البحثُ مع بِنيتها المعنوية، وفصّل فيها القول، ثم اتجه إلى البنية الفنية، فتناول التصويرَ الفنّي، ومراعاةَ النظير، وصحّة التقسيم، كما درس الترقّي، والتقييد بالصفة، والسجع، والتأكيد، والطباق والمقابلات، وطول الاستعاذات وقصرها، وأثرَ هذه الأدعية، وانتهى البحث إلى خاتمةٍ تعرض لأهمّ النتائج.

الكلمات المفتاحية:

الاستعاذات النبوية؛ البنية المعنوية؛ البناء الفنّي؛ أثر الأدعية.

Abstract:

The Prophet's seeking refuge in the loftiest place of the statement; It contains the purity and purity of the word individually and in combination, and the clarity of the meaning and the emergence of the meaning. And the dishes and interviews, the length and shortness of seeking refuge, and the effect of these supplications, and the research ended with a conclusion that presents the most important results.

key words:

prophetic seeking refuge; moral structure; technical construction; The effect of supplications.

مقدِّمــة

الحمـد للهِ ربِّ العـالمين، الـرحمن الـرحيم، والصـلاة والسـلام علـى نبيّنـا مُحَمَّـد، المُكْمِل ببلاغة الدينَ القويم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد،

فالبيـانُ النبـوي فـي المحلِّ الأرفـع مـن البيـان، سـلامة طبـع، ووجـازة لفـظ، ووفـرة معنى، وقلّة تكلّف، وهو وإنْ كان قد دُرس من الناحية البلاغية –وهي دراسةٌ لم تستوعبه كلّه أو حتى معظمه– فإنّه لم يُدرس دراسة أدبية، تُتجاوز فيها أسوارُ البلاغة إلى رحاب الأدب الواسـعة؛ مـن أجـل هـذا اخترتُ الحـديث النبـوي الشـريف ليكـون موضـوعًا للبحـث والدرس من الناحية الأدبية –وإنْ كنَّا لن نتغافل عن البلاغة؛ فمنها المنطَلَق، وعليها سوادُ المعتمَد–، واخترت منه على وجه الخصوص أحاديثَ الاستعاذة؛ فقد أَوْفَتْ على الحُسْن والجمال، ولم نَرَ مَنْ دَرَسَها أو تناولها من الناحية الأدبية، اللهم إلا ما جاء من إشارات خاطفة فـي البحـث الـذي أعدّتـه الطالبـة: صـباح أحمـد سـالم الشـريف لإكمـال متطلبـات الماجسـتير، وعنونتـه بـ «الـدعاء فـي الحـديث النبـوي الشـريف – أسـاليبه ودلالاتـه»(١). والدراسة كما ترى في الدعاء بصفة عامة، وأيضًا فهي مقصورة على صحيح الإمام مسلم، وهذه الإشارات عابرة لا تكاد تُذْكر.

ومـا مـن شكٍّ فـي دخول الاستعاذات النبويـة تحت الرؤيـة الشمولية لـلأدب، التـي تضـمّ ميـادين مختلفـة ومتنوعـة، كالتـاريخ والجغرافيـة والعلـم الطبيعـي والأسـطورة والفلسـفة والأخـلاق وغير ذلـك، أمّـا مـا يسـمى بـ"الأدب الخـالص" فإنـه يُنحِّـي جانبًـا كبيرًا مـن هـذه الثقافات(٢).

والـنصُّ الـديني دُرس وقُبـل مـن الناحيـة الأدبيـة عند الأوروبيين أيضًـا منـذُ عهـد قـديم، والـدعاء نفسُـه دُرس وقُبـل مـن الناحيـة الأدبيـة، ففـي العصـور الوسـطى مـثلًا سـاد

---

(١) الدراسـة فـي كليـة الآداب والعلـوم، جامعـة الشـرق الأوسـط، ٢٠١١ – ٢٠١٢م. انظـر هـذه الإشارات: ص٦٧، ٧٣، ٩٦، ١٠٣، ١٢٠، ١٤٠.

(٢) انظر: مختارات من النثر العربي، للدكتورة وداد القاضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨٠م، ص٦.

عندهم من الأنواع الأدبية فنّ كتابة الرسائل وفنّ الوعظ، وفنّ الوعظ هذا أضاف إلى الأدلة المأخوذة من الكتاب المقدّس عدّة أشياء، مثل: فنّ البلاغة، والمسارد، والأمثلة، والمواد الببليوجرافية المساعدة، فضلًا عن بعض المقتطفات من أشهر العظات والخطب الدينية. وفي الوقت نفسه كانت هناك أنواع أدبية أخرى إلى جانب هذين النوعين السائدين، كالطقوس الدينية، والترانيم، وخطب المجامع، والمجالس الكنسية، والكتيّبات الدعوية، والرسائل التعبّدية، والتعليقات التي كتبت عن الكتاب المقدّس، والتاريخ الكنسي، وسِيَر القِدِّيسين[١].

وقد ذكرتُ دراسة النص الديني عند الغرب مُنوِّهًا لا معتمِدًا؛ إذ إنني قد شرعت في دراسة الاستعاذات النبوية قبل وقوفي على هذا النصّ، كما أنني لا أضع النصّ الديني عندنا المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المكرّمة حتى أقوال الخطباء والوعّاظ موضعَ المقارنة مع النصوص الدينية عند غيرنا.

وقد سرتُ في البحث وَفق خطة منهجية واضحة، فبدأتُ بالتعريف بمادة البحث، ثم ذكّرتُ ببلاغة النبي – صلّى الله عليه وسلم–، ووقفت على معنى الاستعاذة، وبيّنت السرَّ في كون أكثر الاستعاذات بالاسم الشريف "الله"، فذكرت شيئًا من خصائصه اللفظية والمعنوية.

ثُمَّ انقسم البحث بعد ذلك إلى قسمين كبيرين: الأول في البنية المعنوية للاستعاذة، بيّنت فيه معاني الاستعاذات بيانًا شافيًا، وأوضحت مراميها إيضاحًا وافيًا.

أما القسم الثاني فكان للبناء الفنِّي للاستعاذة، وتناولتُ فيه التصوير الفنّي، وعرّجتُ على مراعاة النظير، كما درستُ صحة التقسيم.

ولم أكتفِ بذلك، وإنما كشفتُ عن جمال الترقِّي، وفوائد التقييد بالصفة، وتكلّمتُ عن السجع، والتأكيد، والطباق، والمقابلات، وطول الاستعاذات وقصرها، ولم أنس أثرَ هذه الأدعية.

---

[١] موسوعة البلاغة، تحرير: توماس أ.سلوان، ترجمة: نخبة من المترجمين، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٦م، ٤٤٣/٣ .

وفي النهاية جاءت الخاتمة تقصُّ علينا أهمَّ النتائج التي خُلِصَ إليها، وبعدها قائمة المصادر والمراجع.

واصطحبتُ معي المنهج التحليليّ، يَرْصُدُ الظاهرة، ثم يُفَسِّر ويُحَلِّل؛ ليكشف عن بعض خصائص هذا البيان النبوي الشريف.

مادةُ البحث:

مادةُ البحث هي أحاديث الاستعاذة، وأحاديث الاستعاذة تدخل في الأدعية والأذكار، وهي –أي الأدعية– منثورة في دواوين السنة النبوية الشريفة، كصحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ)، وسنن ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، وسنن الترمذي (٢٧٩هـ)، وسنن النسائي (ت٣٠٣هـ)، ومسند الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)، وغيرها.

وهذه الأدعية مفرّقة في هذه الدواوين في كتب العبادات، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحجّ؛ إذ لا تخلو عبادة من الذكر، كما تجدها مجموعة في كتب الدعوات من هذه الدواوين، وقد ترى أحيانًا أبوابًا خاصة للاستعاذة، فمثلاً في سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ) نرى "كتاب الوتر"، وتحته "باب الاستعاذة"، وفي سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تجد "بابٌ في الاستعاذة" تحت كتاب "الدعوات"، وفي مشكاة المصابيح للخطيب التِبْريزي (ت ٥٠٢هـ) نرى بابًا للاستعاذة.

نعم، هناك كتب خاصّة بالأدعية والأذكار، كـ "عمل اليوم والليلة" للنسائي (ت ٣٠٣هـ)، و"عمل اليوم والليلة" لابن السنّي (ت ٣٦٤هـ)، و"الأذكار" للنووي (ت ٦٧٦هـ)، وهي مملوءة أيضًا بأحاديث الاستعاذة.

وقد رأيت رسالةً جَمَعَتْ سبعة وتسعين حديثًا من أحاديث الاستعاذة، موسومة بـ "الاستعاذات النبوية"[1]، وهذه الرسالة استوعبت أحاديث الاستعاذة –وبخاصة المقبول منها– إلى حدٍّ كبير، ولم أعتمدْها، وإنما رجعتُ إلى الكتب الرئيسة في

[1] رسالة موجودة على الإنترنت، لعلي حسن فرّاج.

السنة النبوية وخرّجت الأحاديث منها، لكنّي أفدتُ من الرسالة المشار إليها كثيرًا في سرعة الوصول إلى هذه الاستعاذات في مظانّها في دواوين السنة.

وقد اقتصر البحث على المقبول من أحاديث الاستعاذة، صحيحًا كان أو حسنًا، ولم يلتفت إلى غير ذلك، ووجودُ الحديث في الصحيحين كافٍ للحكم بصحته، أما إذا كان في سواهما فالعمدةُ في قبوله على تصحيح أهل العلم بالحديث أو تحسينهم له، سواءٌ أكانوا من أصحاب كتب السُّنَّة كأبي داود والترمذي والحاكم وغيرهم، أو من غيرهم ممّن عُرِف بسَعَة الباع في هذا الفنّ.

البيانُ النبوي:

النبي – صلى الله عليه وسلم– أفصحُ الناس قاطبةً، آتاه الله جوامع الكلم؛ فامتلك زمام البلاغة والفصاحة، فترى في كلامه صفاء اللفظ ووفاءه إفرادًا وتركيبًا، ووضوح المعنى وظهور المغزى، ووسائل التشويق والإيقاظ بعثًا للنشاط وإجابة للداعي.

ولعلّ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) من أفضل مَنْ وصف كلام النبي – صلّى الله عليه وسلم– قال: «وأنا ذاكرٌ بعد هذا فنًّا آخر من كلامه –صلّى الله عليه وسلم– وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصنعة، ونُزّه عن التكلّف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمّد: وما أنا من المتكلّفين. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجرَ الغريب الوحشيّ، ورَغِب عن الهجين السوقيّ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلّة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلّت به قدم، ولا بارت له حُجّة، ولم يَقُم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يَبُزُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحقّ، ولا يستعين بالخِلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز، ولا يُبْطىء ولا يعجل، ولا يُسْهب ولا يَحْصَر. ثم لم يسمع الناسُ بكلام قطُّ أعمَّ نفعًا، ولا أقصدَ لفظًا، ولا أَعدلَ وزنًا، ولا أجملَ مذهبًا، ولا أكرمَ

مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهلَ مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبينَ في فحوى، من كلامه –صلى الله عليه وسلم–»[١].

ويتحدّث القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) عن فصاحة لسان الرسول –صلّى الله عليه وسلم– وبلاغته فيقول: «وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان –صلى الله عليه وسلم– من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذي لا يُجْهل، سلامة طبع، وباعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلّة تكلّف، أُوتي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحكم، وعَلِم ألسنة العرب، يخاطب كلَّ أمّة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثيرٌ من أصحابها يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله»[٢].

والكلام في بلاغته وفَصَاحته – صلّى الله عليه وسلم– كثير لا ينتهي، لكن فيما ذكره القاضي عياض (ت ٥٤١هـ) وقبله الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) غَنَاء ومقنع وكفاية، وهما هما، "ولا ينبئك مثلُ خير".

وكلامٌ هذا نَعْتُه وشأنُه لا شكّ أنه سيترك أثرًا عظيمًا في اللغة والأدب[٣]، ومن هذا الأثر: أنه عاون في انتشار اللغة العربية وبقائها وحفظها، كما وسّع المادة اللغوية بما أفاض فيها وأشاع من ألفاظ فقهية ودينية لم تكن تُستخدم من قبل، وأيضًا فقد أدخل كثيرًا

---

[١] البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م، ٢/ ١٦ – ١٨.

[٢] الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: عامر الجزّار، دار الحديث، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص ٥٣.

[٣] انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٥، ص٤٨–٥١، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، الجزء الخاص بالبلاغة النبوية، والعصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط١١، ص ٣٤–٤١، والحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، ص ٥٤–٦٣.

من التراكيب البيانية الجديدة في العربية، وساعد على توحيد لهجات العربية وذيوعها وخلودها، فهو متمّم للقرآن في هذه السبيل.

ساعد الحديث الشريف على تهذيب الألسنة وتثقيف الطباع، والقضاء على الحوشية والغرابة والمعاظلة والتعقيد في البيان، وأحلَّ محلّ ذلك السلاسة والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان، ورفع منزلة النثر، وهَذَّب أغراض الأدب وفنونه؛ ومن أجل ذلك كلِّه فإن معرفة الحديث كانت – ولا تزال– أصلاً أصيلاً وركنًا ركينًا من أركان ثقافة كلِّ أديب، إذا ما أراد إقامةً للسانه، يحفظه الأديب، ويتأمّل فصاحته، ويُنْعم النظر في معانيه وبلاغته، ويفقه ما لابد له من فقهه من أحكامه، لينسج على منواله، ويستشهد به في موضعه، ويبني كلامه على أصْلٍ لا يُزَلْزَل.

معنى الاستعاذة[1]:

عاذ به يَعُوذُ عَوْذًا وعِياذًا ومعاذًا: لاذَ به ولجأ إليه واعتصم، ومعاذَ الله أي عياذًا بالله. و(العُوَّذ) من اللحم – كَسُكّر: ما عاذ (من اللحم) بالعظم ولزمه، ومن الكلأ: ما لم يرتفع إلى الأغصان ومنعه الشجر من أن يُرْعَى. والمعنى المحوري في (عوذ): التصاق الشيء الغَضّ بصُلْبٍ يمنع أو يعوقُ تناوله، كما يلصق اللحم بالعظم فيصعب تناوله، وكذا الكلأ بوصفه وموقعه المذكورين، ومنه (العائذ): كل أنثى إذا وضعت مدة سبعة أيام؛ لالتصاقها وولدها؛ لأنها تحتمي أو تُحْمَى لظروف الولادة، ومنه (عَوَذ الناس – بالتحريك): رُذَالهم بمعنى التابعين واللُّصَقاء، و(طيرٌ عِياذ): عائذة بجبل أو غيره يمنعها.

ومن الناحية الصوتية لمادة (عوذ) فإن العين تعبّر عن التحامٍ ورقة مع حدّةٍ ما، والذال عن نفاذٍ بضيق وازدحام مع تحبّسٍ ما وهذا غلظ، والواو عن اشتمالٍ، والتعبير منهنّ يعبّر عن اشتمال على الرقّة مع اللصوق بغليظ كما في التصاق العُوّذ (الحم) بالعظم.

---

[1] انظر: لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، د. ت، مادة (عوز)، ٣/ ٤٩٨، والمعجم الاشتقاقي المؤصَّل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠١٢م، ٣/ ١٤٥٩.

وعلى هذا فالاستعاذة بالله معناها: الاعتصام به واللجوء إليه والفرار والفزع إليه لكي يدفع عن المرء شرور الدنيا والآخرة.

الاستعاذة بلفظ الجلالة "الله":

أكثر الأدعية ومنها الاستعاذات جاءت بالاسم الشريف "الله"؛ لذا صار الوقوف معه حتمًا واجبًا، من أجل الكشف عن شيء من خصائصه المعنوية واللفظية التي بها أُوثر على غيره في الدعاء.

وقد حاول العلماء حصر خصائص هذا الاسم المبارك اللفظية، ولعلّهم تمكّنوا أو كادوا، أمّا الخصائص المعنوية فدون ذلك خَرْطُ القَتَاد[١]، وقد قال أعلم الخلق به – صلّى الله عليه وسلم–: «لا أُحْصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٢]، وكيف نُحْصي خصائص اسم لمسمّاه كلُّ كمال على الإطلاق، وكل مدح وحَمْد، وكل ثناء وكل مجد، وكلّ جلال وكلّ كمال، وكلّ عزٍّ وكلّ جمال، وكلّ خير وإحسان وجود وفضل وبرّ فله ومنه؟

وذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنه اسم الله الأعظم، ومنهم الشعبي وجابر، وهذا هو الأصوب. بينما ذهب النووي وابن تيمية وابن القيّم إلى أنه "الحيُّ القيّوم"، وذهبت طائفة أخرى ذكرهم ابن رجب إلى أنه "الرب"[٣].

---

[١] مثلٌ يُضْرَبُ للممتنع: مجمع الأمثال، للميداني (ت ٥١٨هـ)، مكتبة الآداب، ط٢، ١٤٣٦هـ – ٢٠٠٣م، ص ٢٧٢، وخَرْط معناها: قطع، والقَتَاد: نباتٌ صلب له شوكٌ كالإبر. ومِثْلُه: (كَلَّفتني بَيْضَ الأَنُوق والأَبْلَق العَقُوق)، والأنوق: العُقَاب، والعَقُوق من البهائم: الحامل، والأَبْلَق: من ذكور الخيل وهو بالطبع لايَحْمل.

ومِثْلُهما: (كلّفتني بَيْضَ السَّمَام وكَلّفتني مُخَّ البَعُوض) (مجمع الأمثال، ص ٦٤٠)، والسَّمَام جمع سَمَامة، وهي ضرْبٌ من الطير مثل الخُطَّاف لا يُقْدَرُ على بَيْضه.

[٢] صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، حديث ٤٨٦، مسلم بشرح النووي، دار أبي حيّان، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ٢/ ٤٤٠.

[٣] انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م، ص ٢٥٦. وعون المعبود على

"**الله: أمرتجل هو أم مشتق؟**[(١)]:

ذهب جماعة من أهل العلم منهم أبو عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ) والمبرّد (ت ٢٨٥هـ) ومحمد بن الحسن والخطّابي إلى أنّ لفظ الجلالة "الله" اسم علم مرتجل غير مشتق.

وذهب جمهور النحاة إلى أنه مشتق، لكنّهم اختلفوا في المادة التي اشتق منها على **ثلاثة أقوال: الأول: أن أصله** "**إله**" **على وزن** "**فِعَال**"، **بمعنى مفعول، كأنه مألوه،** يعبده الخلق ويألهونه، وحذفوا منه الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، ثم أدخلت الألف واللام عوضًا عن الهمزة. **والثاني: أن أصله** "**لاه**" **على زن** "**فَعَل**"، **من لاه يليه إذا تستّر وارتفع،** كأنه سبحانه يُسَمَّى بذلك لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار، ثم أدخلت عليه الألف واللام للتعظيم، ووجب الإدغام لسكون الأوّل من المثلين. **الثالث: أن أصله** "**وِلاه**" **على وزن** "**فِعَال**" **من الوله والتحيّر**، أي الذي يتولّه في حبّه أهلُ طاعته، وتحار العقول في عظمته، فأبدلوا الواو همزة لانكسارها فقيل: إله، ثم أدخلوا الألف واللام للتعريف فقالوا: الإله، ثم حذفت الهمزة للتخفيف، وأدغمت اللام في اللام فصارت الله. **والصحيح أنه**

سنن أبي داود، للعلامة أبي عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أثر بن أمير العظيم آبادي، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي عَلْفة، بيت الأفكار الدولية، د. ت، ص ٦٨١.

(١) انظر: الاسم الكريم الأعظم "الله" جلّ جلاله اشتقاقه وخصائصه النحوية والصرفية واللغوية، للدكتور عبد الله بن محمد بن جار الله النغيمشي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٧، (عدد يناير – مارس ٢٠١٩)، ص ٦٣٨. وانظر أيضًا: نتائج الفكر، للسهيلي (ت ٥٨١هـ)، حققه وعلّق عليه: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص ٤٠، والدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور محمد أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د. ت، ١/ ٢٤، وبدائع الفوائد، لابن القيم (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، د. ت، ص ٣٩، وخزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م، ١/ ٣٥٦.

مشتق، ومعاني الاشتقاق الثلاثة صحيحة؛ فهو سبحانه المعبود، وهو الذي تحار فيه العقول، ولا تدركه الأبصار.

ونذكر من خصائصه اللفظية ما يلي:

١- لفظ الجلالة "الله" أعرف المعارف، وهو خاصٌّ به - عز وجل- لا يشاركه فيه غيره، ويترتب على ذلك أشياء، منها: أنه لا يثنّى ولا يجمع، وأنه يوصف ولا يوصف به، وأن جميع الأسماء الحسنى تضاف إليه ولا يضاف هو إلى شيء منها، ويمتنع معه عطف البيان دون سائر الأسماء، ولا يوجد شيء من الأسماء معرّف بأل إلا وأصله نكرة إلا اسم الله تعالى[١].

٢- "أل" في اسم الجلالة "الله" للتعظيم والتفخيم[٢]؛ لأن العبد ينبغي أن يُقدِّم بين يدي دعائه تعظيم ربّه سبحانه وتعالى ومدحه.

٣- دخول ياء النداء عليه، فنقول: يا الله، ولا يكون هذا في اسم غيره البتة، وعدم دخول "أيها" عليه في النداء بخلاف كل ما فيه أل[٣].

٤- عدم جواز حذف ياء النداء مع لفظ الجلالة من غير تعويض، وإنما يحذف حرف النداء ويعوّض عنه الميم، فتقول: "اللهم"[٤]، ولا يجمع بين العِوَض والمعوّض عنه. والقول بزيادة الميم عوضًا عن ياء النداء المحذوفة هو قول البصريين، أمّا الكوفيون فقالوا: هي بقيّة أمَّنا بخير. ولا يستعمل "اللهمّ" في غير النداء، ومذهب الخليل وسيبويه

---

[١] الاسم الكريم الأعظم "الله"، ص ٦٤٠.

[٢] الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٠٠.

[٣] الاسم الكريم الأعظم "الله"، ص ٦٤٣.

[٤] أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ٢/ ٣٤٠، والمساعد على تسهيل الفوائد، لابن عَقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ٢/٥٠٩.

أنه لا يوصف، لكونه مع الميم كالصوت، أي غير متمكّن في الاستعمال، وقال المبرّد والزجّاج: يوصف على اللفظ والموضع.

٥- ويختص هذا الاسم الكريم ببعض الأمور في القسم[١]، منها: دخول لام القسم عليه، ومن معاني اللام القسم والتعجّب معًا، تقول: للهِ ما رأيت كاليوم قط، ودخولُ تاء القسم عليه، ويختص مع "ربّي" بدخول "من" الدالة على القسم عليه، يقول قليلٌ من العرب: مِنْ اللهِ لأنصرنّ النزيه، أي: واللهِ. كما يختص بدخول "ايمن" الدالة على القسم عليه، وأيضًا دخول "مِ ُ َ" المستعملة في القسم عليه، تقول: مِ ُ َ اللهِ لأفعلنّ كذا.

٦- تفخيم لامه، مع أنه مُرَقّق بطبيعته، لكنها تُفَخّم في اسم الجلالة "الله" إذا ابتدئ به أو سُبِق بفتح أو ضم[٢].

٧- مخارج حروف لفظ الجلالة كلّها جوفية، وليس فيها شيء من الحروف الشفهية، وهذا ليس موجودًا في سائر الأعلام، وفيه إشارة إلى الإتيان به ونطقه من خالص القلب لا من الشفتين، قال السهيلي (ت ٥٨١هـ): «وقد رأيت لابن فَوْرك نحوًا من هذا في اسم الله تعالى، قال: الحكمة في وجود الألف في أوّله أنها من أقصى مخارج الصوت قريبًا من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضًا؛ لأن المبتدأ منه والمعاد إليه، والإعادة أهون من الابتداء، وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة»[٣].

٨- وإنّما خصّوا هذا الاسم بهذه الخصائص[٤] لكثرة الاستعمال، وللحاجة الشديدة إلى استعمال هذا الاسم الشريف حال الدعاء والقسم، ولأنَّ مسمّاه -تعالى وتقدّس- لا يشاركه فيه أحد ولا يشبهه شيء فكذلك اسمه، وأيضًا من أجل تفخيم اسم "الله" تعالى وتعظيمه.

---

[١] الاسم الكريم الأعظم "الله"، ص ٦٤٦ وما بعدها.

[٢] أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، ٢/ ١٣٢، ١٩٦.

[٣] نتائج الفكر، ص ١٧٦.

[٤] الاسم الكريم الأعظم "الله"، ص ٦٥٦.

البناءُ المَعْنَوِي للاستعاذة:

الاستعاذة تكون من الشرور أو الأذى أو المكروه الذي يلحق الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي – كما تقدّم– من جملة الأدعية؛ ولذا فهي منثورة في دواوين السنة ومُوَزّعة بحسب الأحوال المخصوصة والأوقات المعينة، ومنها أيضًا غير المقيّد لا بزمان معيّن ولا بحال مخصوصة. ففي أبواب الصلاة مثلاً تجد الاستعاذات التي تقال عند استفتاح الصلاة، والتي تقال قبل التسليم وبعده، وفي أبواب الدعوات تجد الاستعاذة عند دخول الخلاء، وعند هبوب الريح، وعند نزول أرض ما، وعند الخروج من المنزل، وهكذا.

وكنت قد رأيتُ أن أقسمّها تقسيمًا آخر بحسب المستعاذ منه؛ فالمستعاذ منه إما ذاتي (داخلي) أو خارجي، يعني إما متعلق بذات الإنسان وإما خارج عنها، والخارج إما مرئي وإما غيبيّ، والجامع بين هذه الأمور المستعاذ منها أنها جميعها شرور تعوق الإنسان عن السير إلى مرضاة الله والفوز بجنته، لكنّي عزفت عن هذا، ورأيت أن أتركها كما هي على حسب المقامات والأحوال والأوقات؛ فذلك أدعى إلى ضبطها وحفظها، وأيضًا فهكذا كان يعلمها النبي – صلى الله عليه وسلم– أصحابه، كما دوّنها أهل السنن على هذه الطريقة، ولا شك أن هناك علقة بين المقام والمستعاذ منه، نفهمها في أحيان، وتغيب عنّا في أخرى، لكنّ غيابَها لا يعني عدم وجودها.

ثُمَّ هذا أوان الشروع في بيان البنية المعنوية للاستعاذة النبوية.

كان النبي – صلّى الله عليه وسلم– **إذا دخل الخلاء** قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائث»[١]. والخبث بضمّ الباء وإسكانها، وهما وجهان مشهوران في رواية الحديث، والمقصود ذكران الشياطين وإناثهم[٢].

---

[١] البخاري، كتاب: الوضوء، باب: ما يقال عند الخلاء، فتح الباري (ط دار الحديث)، ١/ ٢٩٤، ومسلم، كتاب: الحيض، باب: ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، مسلم بشرح النووي، ٣٠٦/٢.

[٢] مسلم بشرح النووي، ٢/ ٣٠٧.

ولا يشكُّ عاقل في عداوة الشيطان وشرّه وحقده على بني آدم؛ لذا يحتمي الإنسان بربّه منه، ولاسيما في الأماكن التي يحضرها، كالخلاء والكنيف والمرحاض، وكلها مواضع لقضاء الحاجة.

ويخشى الإنسان على نفسه **إذا خرج من بيته** الضلالة، وظُلْم الناس له أو ظُلْمَه لهم، وأن يفعل بهم فِعْل الجُهّال، كما يخشى ركون نفسه إلى المعاصي؛ فيدعو الله –عز وجل– أن يحميه من ذلك كلّه، يقول: «اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلّ أو أُزَلَّ، أو أظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليّ»[(١)].

وقد يُشْكِلُ دعاؤه –صلّى الله عليه وسلم– بما ذُكر وما سيُذكر بعد ذلك على بعض الناس؛ لأنه –صلّى الله عليه وسلم– معصومٌ مغفورٌ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، والجواب أنه –صلّى الله عليه وسلم– قصَدَ التعليم لأمّته، أو أنّ المراد السؤال منه لأمّته، فيكون المعنى هنا أعوذ بك لأمّتي، أو أنه يسلك طريق التواضع وإظهار العبودية والزام خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمنع تكرار الطلب مع تحقيق الإجابة؛ لأن ذلك يحصّل الحسنات ويرفع الدرجات، وفيه تحريضٌ لأمّته على ملازمة ذلك؛ لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرّع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة[(٢)].

والشيطان لا يترك الإنسان حتى في أشرف الأماكن وأطهرها، **المساجد**، يوسوس له، ويشغله؛ لذا كان النبي –صلّى الله عليه وسلم– إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم» قال: قد قلتَ؟ قال: نعم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ منّي سائرَ اليوم»[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الأدب، حديث: ٥٠٩٤، عون المعبود، ص ٢١٧٦. وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، كتاب: الدعوات، حديث: ٣٤٢٧، وقال الترمذي: حسن صحيح، تحفة الأحوذي (ط بيت الأفكار الدولية)، ص ٢٤٤٨.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٣٦٩.

(٣) سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل عند دخول المسجد، حديث: ٤٦٦، عون المعبود، ص ٢٣٥.

وإذا دخل العبدُ المسجد، **وأخذ ينصب أقدامه في الصلاة**، أتاه الشيطان يذكّره بأمور الدنيا، ويحول بينه وبين قلبه؛ حتى لا يعقل شيئًا منها، ويفوته الخير الكثير من الثواب؛ ومن ثمّ كان النبي –صلى الله عليه وسلّم– يتعوّذ قبل القراءة فيقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزِه ونَفْخِه ونفثه»[١]. وهمزه: وسوسته، ونفخه: كبره المؤدّي إلى كفره، ونَفْثه: ما يأمر به الناس من إنشاء الشِّعر المذموم مما فيه هَجْوُ مُسْلِم أو كفر أو فسقٌ[٢].

ولا يزالُ الشيطان **يوسوس للعبد في صلاته** حتى يحول بينه وبينها، وها هو عثمان بن أبي العاص –رضي الله عنه– قد عالج ذلك وعانى منه واشتكى إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسُها عليَّ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ذاك شيطان، يُقال له: خِنْزَب، فإذا أحسسته، فتعوّذ بالله منه، واتفُلْ على يسارك ثلاثًا» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنّي[٣].

أرأيت كيف صنع "خِنْزَب" بهذا الصحابي الجليل، وما نجّاه منه إلا اعتصامه بربّه سبحانه وتعالى. ولعلّك تسأل: لماذا كان التَفْل على جهة اليسار وكان ثلاثًا؟ والجواب: لأن الشيطان لا يأتي إلا من جهتها، وهي الجهة المنسوب إليها المعاصي،

---

[١] سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة، حديث: ٢٤٢، تحفة الأحوذي، ص ٥٤٤، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الصلاة، باب: من رأى الاستفتاح بـ "سبحانك الله وبحمدك"، حديث: ٧٧٥، عون المعبود، ص ٣٥٨. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٩٨م، حديث: ٤٣٢.

[٢] تحفة الأحوذي، ص ٥٤٥.

[٣] مسلم، كتاب: السلام، باب التعوّذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، حديث ٢٢٠٣، مسلم بشرح النووي، ٧/ ٤٤٦.

وكذا يُدْخل صاحبَه في أصحاب الشمال، وكان ثلاثًا مبالغة في التنفير والتبعيد، والله أعلم[١].

وأقربُ ما يكون العبد من ربِّه **وهو ساجد**، ولذا يستحبُّ الإكثار من الدعاء في السجود، كما كان يصنع أتقى الناس وأخشاهم لله، النبي –صلّى الله عليه وسلم–، وقد فقدته السيدة عائشة –رضي الله عنها– ليلةً من الفراش فالتمسته، فوقعت يدها على بطن قَدَمَيه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم! إنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أُحْصِي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٢].

ويعرض للإنسان مُدَّة حياته افتتانه بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظم ذلك أمرُ الخاتمة عند الموت، كما أنَّ أمرَ المسيح الدَّجال أكبرُ أمرٍ بين خلق آدم –عليه السلام– وقيام الساعة، فإذا ما ترك الإنسان هذه الدار استقبل دارًا أخرى، هي دار البرزخ، دار مخوفة، وعذابها شديد، إنْ نجا منها فما بعدها أيسر، وإن لم يَنْجُ منها فما بعدها أشد، ما بعدها عذابُ جهنم، (**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**) (المعارج: ١٥، ١٦)؛ لأجل ذلك كان النبي –صلّى الله عليه وسلم– يقول: «إذا تشهّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ فتنة المسيح الدجّال»[٣].

ومن **التعوّذ في الصباح والمساء** ما جاء عن أبي بكر –رضي الله عنه– أنه قال: يا رسول الله مُرْني بكلماتٍ أقولهنّ إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ قال: «قلْ اللهم فاطرَ السماوات والأرض عالمَ الغيب والشهادة ربَّ كلِّ شيء ومليكَه أشهد أنْ لا إله إلا أنت

---

[١] الفتوحات الربّانية على الأذكار النواوية، لابن عَلّان (ت ١٠٥٧هـ)، اعتنى به: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، ٤/ ٢٧.

[٢] مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، حديث: ٤٨٦، مسلم بشرح النووي، ٢/ ٤٤٠.

[٣] مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث: ٥٨٨، مسلم بشرح النووي، ٣/ ٩٤.

أعوذ بك من شرِّ نفسي وشرِّ الشيطانِ وشِرْكِه. قال: قُلْها إذا أصبحت وإذا أمسيتَ وإذا أخَذت مضجعك»[١].

يُعَلّم النبيُّ –صلّى الله عليه وسلم– الصديقَ –رضي الله عنه– أن يستعيذ بربّه خالق السماوات والأرض ومبدعِهما على غير مثال سابق، الذي يستوي عنده السرُّ والعَلَن، الإلهِ الأحد الصمد، ربِّ كلّ شيء ومالِكه، الذي لا يخرج أحدٌ عن سلطانه، يستعيذ به من ظهور السيئات الباطنية التي جُبلت عليها النفس، ومن وسوسةِ الشيطان وإغوائه وإضلاله، ومن مصايده وحبائله التي يفتتن بها الناس.

ومن التعوّذ في الصباح والمساء أيضًا ما جاء عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمدُ لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير، ربّ أسألك خَيْرَ ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شرِّ ما في هذه الليلة وشرّ ما بعدها، ربّ أعوذ بك من الكسل، وسوء الكِبَر، ربّ أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر»، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا «أصبحنا وأصبح الملك لله»[٢].

و**منه** ما جاء عن أبي مالك الأشعري –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– قال: «إذا أصبح أحدُكم فليقلْ: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين،

---

[١] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، حديث: ٥٠٦٧، عون المعبود، ص ٢١٦٦، وسنن الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، حديث: ٣٣٩٢، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، تحفة الأحوذي، ص ٢٤٣٠.

[٢] مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوّذ من شر ما عمل، حديث: ٢٧٢٣، مسلم بشرح النووي، ٩/ ٤٨.

اللهم! إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه وشرِّ ما بعده، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك»[١].

هذا القائل يُقرُّ ويعترف بأن المُلْك والحمد لله وحده لا لغيره، فيلجأ إليه، ويستعين به، ويخصّصه بالعبادة، والثناء عليه، والشكر، ثم يطلب استمرار ذلك بدخوله في الليل أو النهار، ويستعيذ مما يمنعه مما كان فيه في اليوم أو في الليل، يستعيذ بالله من أن يتثاقل في الطاعة مع استطاعته، ثم من سوء الكِبَر الذي يصيرُ فيه كالخِلْس المُلْقَى على الأرض، لا يصدرُ منه شيء من الخيرات، يستعيذ بالله من هذه الأحوال وهذه الشرور التي تقودُه إلى عذابٍ في القبر لا يطيقه ولا يحتمله، ومن ورائه عذابٌ في جهنم هو أشدُّ وأفظع، فأنّى له مع هذا العذاب طاقة أو احتمال؟!

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلّى الله عليه وسلم– كان يقول إذا **أوى إلى فراشه:** «اللهم ربَّ السماواتِ وربَّ الأرض وربَّ كلِّ شيء فالقَ الحبِّ والنَّوى منزلَ التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنّي الدين وأغنني من الفقر»[٢]. والنبي –صلّى الله عليه وسلم– يسأل ربّه خالق السماوات والأرض ومربّي أهلهما ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أن يفيده من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ من المخلوقات؛ لأنها كلّها في سلطانه وهو آخذٌ بناصيتها.

---

[١] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الأدب، حديث: ٥٠٨٤، عون المعبود، ص ٢١٦٩، وحسّنه ابن القيّم (ت ٧٥١هـ) في زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ٢/ ٣٤٠. وقال محقّقَا الكتاب: سنده حسن.

[٢] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الأدب، باب: ما يقول عند النوم، حديث: ٥٠٥١، عون المعبود، ص ٢١٦١، وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، حديث: ٣٤٠٠، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، تحفة الأحوذي، ص ٢٤٣٣.

والليلُ لـه حكاياتٌ، وفيـه أهوالٌ وفتنٌ وطوارق، قد يفزع الإنسان لأجل شيء منها، وقد لقي خالد بن الوليد –رضي الله عنه– شيئًا من ذلك، قال: كنتُ أفزع بالليل، فأتيتُ النبي –صلّى الله عليه وسلم– فقلتُ: إنّي أفزعُ بالليل فآخذُ سيفي، فلا ألقى شيئًا إلا ضربته بسيفي، فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلم–: ألا أعلمك كلماتٍ علمني الروح الأمين؟» فقلت: بلى، فقال: «أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهنّ برٌّ ولا فاجرٌ، من شرِّ ما نزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شرِّ فتن الليل والنهار، ومنْ كلِّ طارقٍ إلا طارقٌ يطرقٌ بخير يا رحمن» فقالها، فذهبت عنه[١].

والريحُ تجيء بالخير وتجيء بالشرّ، عصفت بقوم عاد، وكانت مطية لسليمان –عليه السلام–، تجيء بمطر الرحمة، كما تجيء بمطر العذاب، ولذا كان النبي –صلّى الله عليه وسلم– يتعوّذ عند رؤيتها، يقول: «اللهمَّ إنّي أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرسلتْ به، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أرسلت به»[٢].

خيرها: خيرها الذاتي، وخير ما فيها: الخير العارض منها من المنافع كلها، وخير ما أرسلت به: بخصوصها في وقتها، وهو بصيغة المجهول، وفي نسخة بالبناء للفاعل، قال الخطّابي: يحتمل الفتح على الخطاب، وقوله: «وشر ما أُرْسِلْت به» على البناء للمفعول ليكون من قبيل "أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم"، وقوله: "الخير بيدك والشرُّ ليس إليك»[٣].

وطريقة القرآن هي أن تنسب أفعال الإحسان والرحمة والجود إلى الله –سبحانه وتعالى–، أما أفعال العدل والجزاء والعقوبة فيحذف معها الفاعل، ويُبْنى الفعل

---

[١] المعجم الأوسط للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، حديث: ٥٤١٥، ٥/ ٣١٥، وخرّجه الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، حديث: ٢٧٣٨، ٦/ ٥٣٤.

[٢] مسلم، كتاب: الاستسقاء، باب: التعوّذ عند رؤية الريح، مسلم شرح النووي: ٣/ ٤٦٣.

[٣] الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية، ٤/ ١٨٩.

معها للمفعول أدبًا في الخطاب، وإضافةً إلى الله تعالى أشرفَ قِسْمَي أفعاله، وعلى هذه الطريقة قوله تعالى: (**الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)، وقوله تعالى: (**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**)، ونظيرُه قول إبراهيم –عليه السلام– (**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**) (الشعراء: ٧٨ – ٨٠)، وقوله تعالى: (**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**) (الجن: ١٠)[١].

وعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي –صلّى الله عليه وسلم– نظَر إلى القمر فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ هذا؛ **فإنّ هذا الغاسق إذا وَقَب**»[٢]. واختلفوا في الغاسق[٣]؛ فقيل: **القمر** إذا خسف واسودّ لأنه من آيات الله الدالة على حدوث بَلِيّة ونزول نازلة، وقيل: إذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر، وفي ذلك الوقت يتم السحر المُورث للتمريض. وقيل: **الليل** إذا أقبل بظلمته من المشرق، وإنما أُمر بالتعوّذ منه لأن الآفات فيه تنتشر، ويقلُّ الغوث، ويُعْمَلُ السحر. وقيل: **الثريا** إذا سقطت وغابت، يزعمون أنّ الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها.

وقال ابن جرير (ت ٣١٠هـ) في تفسيره: «وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال: إنَّ الله أمر نبيّه –صلّى الله عليه وسلم– أن يستعيذ "من شرّ غاسق" وهو الذي يُظْلم، يقال: قد غسق الليل يَغْسَق غُسوقًا: إذا أظلم. "إذا وقب" يعني: إذا دخل في ظلامه: والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أَفَلَ غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يَخْصُصْ بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك؛ فكلّ غاسق فإنه –صلّى الله عليه وسلم– كان يُؤْمَرُ بالاستعاذة من شرِّه إذا وقب»[٤].

---

[١] نتائج الفكر، للسهيلي (ت ٥٨١هـ)، ص ٢٣٧، وبدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ٢/ ٤٢٧.

[٢] سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المعوذتين، حديث: ٣٣٦٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، تحفة الأحوذي، ص ٢٤١٨.

[٣] تحفة الأحوذي، ص ٢٤١٨.

[٤] تفسير الطبري، طبعة دار السلام بمصر، ط٣، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ١٠/ ٨٨٤١.

وكان رسولُ الله –صلّى الله عليه وسلم– **إذا استجدَّ ثوبًا** سمّاه باسمه إما قميصًا أو عمامة ثم يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك مِنْ خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِعَ له»[١].

والمعنى أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا لبس ثوبًا جديدًا سمّاه باسمه، بأن يقول: رزقني الله أو كساني هذه العمامة أو القميص، ويحمد الله على هذا، ثم يدعو بهذا الدعاء. وخير الثوب هو بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوسًا للضرورة والحاجة، وخيرُ ما صنع له هو الضرورات التي من أجلها يُصْنَع اللباس من الحرّ والبرد وستر العورة، والمراد سؤال الخير في هذه الأمور وأن يكون مبلِّغًا إلى المطلوب الذي صنع لأجله الثوب من العون على العبادة والطاعة، وفي الشرِّ عكس هذه المذكورات؛ وهو كونه حرامًا ونجسًا ولا يبقى زمانًا طويلاً، أو يكون للمعاصي والشرور والافتخار والعُجْب والغرور وعدم القناعة بثوب الدون وأمثال ذلك[٢].

وممّا يُعَوَّذُ بن الصبيان ما كان النبي –صلّى الله عليه وسلم– يُعَوِّذ به الحسن والحسين، يقول: «إنَّ أبَاكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامّة من كلِّ شيطان وهامّة، ومن كلِّ عين لامّة»[٣]. ولعلّك ترى في مثل هذه الأحاديث اتصال الشرائع من آدم –عليه السلام– إلى نبيّنا محمّد –صلّى الله عليه وسلم–، ولا عجب في ذلك؛ فهي تخرج من مشكاة واحدة، والأنبياء جميعًا إخوة. والنبي –صلّى الله عليه وسلم– يعوّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة، الخالية عن العوارض والنواقص، من كل شيطان، ومن الهوام ذوات السموم، ومن كلِّ داء وآفة تُلِمُّ بالإنسان من جنون وخبل[٤].

---

[١] سنن الترمذي، كتاب: اللباس، باب: ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا، حديث: ١٧٦٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريبٌ صحيح، تحفة الأحوذي، ص ١٥٤٠.

[٢] تحفة الأحوذي، ص ١٥٤٠.

[٣] البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، حديث: ٣٣٧١، فتح الباري، ٦/ ٤٦٠.

[٤] الفتوحات الربّانية، ٤/ ٣٤.

وفي **كيفية تعويذ المريض** نجد حديث عثمان بن أبي العاص –رضي الله عنه– حين شكا إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– وَجَعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله –صلّى الله عليه وسلم–: «ضَعْ يَدَكَ على الذي تألم من جسدك، وقُلْ: بسم الله، ثلاثًا، وقل سبع مرَّات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[١]. والإنسان يلجأ إلى ربّه ويعتصم به من ألمٍ وَجَدَه وأَلَمَّ به، ومن وجعٍ يُتَوقّع حصولُه في المستقبل قد يجزع بسببه وتذهبُ قوّته.

والسَّفَرُ قطعةٌ من العذاب، يُسْفر عن أخلاقِ صاحبه، ويُعاني الإنسان فيه ما يعاني، فحريٌّ بالعاقل أن يبدأه بحمد ربِّه والثناء عليه بأنْ يسرَّ له أسبابه، بداية من دابّته التي سخّرها الله له، ولولاه ما انقادت ولا ذَلَّتْ، ثم يسأله –تعالى– الإعانة على البرّ والتقوى والعمل المرضيّ، وأن يطويَ عنه بُعْدَ سَفَرِه ويصحبه فيه ويخلفه في أهله، كما يستعيذ به –عز وجل– من شدّة سفره ونصبه، ومن أن ينقلب من سفره إلى منزله بأمر يكتئب منه، أصابه في سفره، أو فيما يُقْدِم عليه. عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلّى الله عليه وسلم–: «كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سَفَرٍ كبَّر ثلاثًا ثم قال: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مُقْرِنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما تَرْضَى، اللهمَّ هوِّن لينا سفرنا هذا، واطوِ عنّا بُعْدَه، اللهمَّ أنت الصاحبُ في السفر، والخليفةُ في الأهل، اللهمّ إنّي أعوذ بك من وَعْثَاء السَّفَر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهنَّ، وزاد فيهنَّ: آيبُون تائبون عابدون لربّنا حامدون»[٢].

وكان النبي –صلّى الله عليه وسلم– إذا **رأى قرية يريد دخولها** يسأل الله خيرَها، وخير أهلها، ويستعيذ به من شرها وشرّ أهلها وشرِّ ما فيها، عن صُهَيب –رضي الله عنه– أن النبي –صلّى الله عليه وسلم– لم ير قرية يريدُ دخولها إلا قال حين

---

[١] مسلم، كتاب: السلام، باب: استحباب وضع يده على موضع الألم، مسلم بشرح النووي، ٧/ ٤٤٦.

[٢] مسلم، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحجّ وغيره، حديث: ١٣٤٢، مسلم بشرح النووي، ٥/ ١٢١.

يراهـا: «اللهـمّ ربَّ السـماوات السـبع، ومـا أظللـن، وربَّ الأرَضِـين، ومـا أقللـن، وربَّ الشياطين، وما أَضْلَلن، وربَّ الرِّيَاح، وما ذَرَيْن، فإنَّا نسألك خيرَ هذه القرية، وخَيْرَ أهلها، ونعوذ بك من شرِّها وشرِّ أهلها، وشرِّ ما فيها»[١].

وممّا تعوّذ منه النبي –صلّى الله عليه وسلم– **الجوعُ والخيانـةُ**، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– يقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنّها بئست البطانة»[٢]. قال الطيبيّ (ت ٧٤٣هـ): «خصَّ (الضجيع) بـ (الجوع) لينبّه على أن المراد بالجوع الذي يلازمه ليلاً ونهارًا، ومن ثَمَّ حرم الوصال، ومثلُه يُضْعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات، لاسيّما بقيام التهجّد، وخصَّ (البطانة) بـ(الخيانة)؛ لأنها لَيْسَتْ كالجوع الذي يتضرّرُ به صاحبه فحسب، بل هي ساريةٌ إلى الغير، فهي وإن كانت بطانة لحاله، لكن يجري سريانُه إلى الغير مجرى الظاهرة»[٣].

---

[١] السنن الكبرى للنسائي (ت ٣٠٣هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، كتاب: عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا رأى قرية يريدُ دخولها، حديث: ١٠٣٠١، ٩/ ٢٠٠، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم (ت ٤٠٥هـ)، دار الحرمين، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، كتاب: الجهاد، حديث: ٢٥٤٣، قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ١٢٢/٢.

[٢] سنن ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)، كتاب: الأطعمة، باب: التعوّذ من الجوع، شروح سنن ابن ماجة، قدّم له وحقّقه: رائد بن صبري بن أبي عَلْفة، بيت الأفكار، د. ت، حديث: ٣٣٥٤، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الوتر، بابٌ في الاستعاذة، حديث: ١٥٤٧، عون المعبود، ص ٦٩٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٢٨٣، ص ٢٧٥.

[٣] شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح، المُسَمَّى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ص ١٩١٨.

وكان –صلّى الله عليه وسلم– يتعوّذ بالله من **العاهات والميتات الشنيعة**، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن النبي –صلّى الله عليه وسلم– كان يقول: «اللهم إنّي أعوذ بك من البَرَص والجنون والجُذَام وسَيِّئ الأسقام»[١].

وعن أبي اليسر السلمي –رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهَدْم، وأعوذ بك من التردِّي، وأعوذ بك من الغَرَق، والحريق، وأعوذ بك من أن يتخبّطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيك مُدْبِرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا»[٢].

وإنما استعاذ النبي –صلّى الله عليه وسلم– من الهلاك بهذه الأسباب مع ما فيه من نيل الشهادة لأنها مِحَنٌ مُجْهِدة، لا يكاد الإنسان يصبر عليها ويثبت عندها[٣]. أمّا تخبُّط الشيطان الإنسان عند الموت فهو أن يستولي عليه عند مفارقته الدنيا فيضله ويحول بينه وبين التوبة، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله، أو يؤيسه من روح الله ورحمته، أو يكره الموت ويتأسّف على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من الفناء والنقلة إلى الدار الآخرة؛ فيختم له بسوء، ويَلْقَى الله وهو عليه ساخط، وقد رُوي أن الشيطان لا يكون في حالٍ أشدَّ على ابن آدم منه في حال الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنْ فاتكم اليوم لم تلحقوه بعد اليوم[٤].

ومما تعوّذ منه –صلّى الله عليه وسلم– ما جاء في حديث أنس –رضي الله عنه– أنه قال: كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– يقول: «اللهم إني أعوذ بك من

---

[١] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الوتر، بابٌ في الاستعاذة، حديث: ١٥٥٤، عون المعبود، ص ٦٩٥، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ١٢٨١، ص ٢٧٥.

[٢] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الوتر، بابٌ في الاستعاذة، حديث: ١٥٥٣، عون المعبود، ص ٦٩٤، وصحّحه الألباني في صحيح الجمع، رقم: ١٢٨٢، ص ٢٧٥.

[٣] عون المعبود، ص ٦٩٨.

[٤] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال»[١]. وما جاء في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– من أنه –صلّى الله عليه وسلم– كان «يتعوّذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[٢].

وتعوّذ –صلّى الله عليه وسلم– **من زوال النعمة وتحوّل العافية؛** فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: كان من دعاء رسول الله –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم إنّي أعوذ بكَ من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفُجَاءَةِ نقمتك، وجميع سخطك»[٣]. ومعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل، وتحول العافية إبدال الصحة بالمرض والغِنَى بالفقر، و(الفُجَاءة) و(الفَجْأة) لغتان بمعنى البَغْتة، والنِّقمة هي المكافأة بالعقوبة والانتقام بالغضب[٤].

وممّا استُعيذ منه **منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء،** كان –صلّى الله عليه وسلم– يقول: «اللهم إنّي أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء»[٥]. قال الطيبي: «الإضافة في القرينتين الأوليين إضافة الصفة إلى الموصوف؛ والثالثة بمعنى "مَن"؛ لأن الأهواء كلها منكرة»[٦].

والملاحظ أن أغلب هذه الأدعية والاستعاذات من الجوامع من الدعاء، والجوامع من الدعاء هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على

---

[١] البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوّذ من غلبة الرجال، حديث: ٦٣٦٣، فتح الباري، ١٩٥/١١.

[٢] البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوّذ من جهد البلاء، حديث: ٦٣٤٧، فتح الباري، ١٦٧/١١.

[٣] مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث: ٢٧٣٩، مسلم بشرح النووي، ٦٣/٩.

[٤] عون المعبود، ص ٦٩٦.

[٥] سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، كتاب: الدعوات، حديث: ٣٥٩١، تحفة الأهوذي، ص ٢٥٢٤، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ١٢٩٨، ص ٢٧٨.

[٦] شرح المشكاة، ص ١٩١٨.

الله تعالى وآداب المسألة، أو هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا، جُمع فيه خيرُ الدنيا والآخرة[١]، وقد كان النبي –صلّى الله عليه وسلم– يُوصي أصحابه بهذه الأدعية الجوامع؛ فعن عائشة –رضي الله عنها– أنها كانت تُصَلّي فقال لها النبي –صلّى الله عليه وسلم–: عليك من الدعاء بالكوامل الجوامع، فلما انصرفت سألته عن ذلك فقال: قولي: «اللهمّ إنّي أسألك من الخير كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علمتُ منه وما لم أعلمْ، وأعوذ بك من الشرِّ كلِّه عاجلِه وآجله، ما علمتُ ومنه وما لم أعلمْ، وأسألك الجنة وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل، وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمّد، وأعوذ بك من شرّ ما استعاذ منه عبدك ورسولك محمّد، وأسألك ما قضيتَ لي من أمرٍ أن تَجْعَل عاقبتَه رَشَدًا»[٢].

البناء الفنّي للاستعاذة:

١– التصوير الفنّي:

والمقصود بالتصوير الفني التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية، وسيرصد البحث مواضع هذه الألوان البيانية في أحاديث الاستعاذة، ويبين سرّ جمالها.

والبداية مع **التشبيه**، والتشبيه هو «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى، والمراد بالتشبيه هاهنا: ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد»[٣]. والتشبيه له تأثير عجيب في النفوس، يزيدُ المعنى وضوحًا ويُكسبه تأكيدًا، ويأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدّة، ويشتقُّ من الأصل الواحد أغصانًا في كل غصن

---

[١] المصدر نفسه، ص ١٧١٥.

[٢] مسند أبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع دار هجر، دار هجر للطباعة و النشر، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، حديث: ١٦٧٤، ٣/ ١٤٨، وقال المحقّق: حديث صحيح، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم (ت٤٠٥هـ)، حديث: ١٩٦٦، ١/ ٧١٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[٣] الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، للقزويني (ت ٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢١٧.

ثمرة، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كلِّ جيل ما يستدلُّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلِّ لسان[١].

وقد رصد البحث **ثلاثة مواضع للتشبيه** في أحاديث الاستعاذة، وقعت من النَّفْس موقعًا حسنًا، وأثّرت فيها تأثيرًا بليغًا، وأوّلُ هذه المواضع هو قوله –صلى الله عليه وسلم– في حديث دعاء السفر. «والحَوْر بعد الكَوْر»[٢]. والحور بعد الكور معناها: النقصان بعد الزيادة، لكنّ هذا المعنى لا يستقرُّ في النفس استقرارًا إلا بهذا التشبيه الجميل السَّهْل المأخوذ من حياتهم؛ فهم عَرَبٌ يضعون العمامة على رؤوسهم ويُحْكمون لفّها، ثمّ قد يَفْسُد هذا الإحكام والإتقان لسبب من الأسباب، والمعنى حينئذ: نعوذ بك من أن تَفْسُد أمورنا بعد صلاحها وتمامها وإحكامها، كفساد العمامة بعد تمام إحكامها ولفّها على الرأس.

والموضعان الثاني والثالث في استعاذته –صلّى الله عليه وسلّم– من الجوع والخيانة، فقد شبّه الجوع بالضجيع، فقال: «اللهم إنّي أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع»[٣]، وذلك ليفرّق بين جُوعٍ وجُوعٍ، فالجوعُ المستعاذ منه هو الجوع الذي يلازمه ملازمةَ الضجيع، فتضعف معه القُوَى، ويكون التقصير في الطاعات. وشبّه البطانة بالخيانة؛ لأنها –كما تقدّم– ليست كالجوع الذي يتضرّر به صاحبه، وإنما هي تتعدّى إلى الغير.

---

[١] انظر في فضل التشبيه وبلاغته وأنواعه: كتاب الصناعتين، للعسكري (ت٣٩٥هـ)، حقّقه وضبط نصّه: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٢٦١ – ٢٨٢، والعمدة، لابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)، حقّقه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ١/ ٢٨٦ – ٣٠٢، وأسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، ص ٩٠ – ٢٣٧، والبلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، للدكتور فضل حسن عبّاس، دار الفرقان، ط١١، ٢٠٠٧م، ص١١٦.

[٢] مسلم، كتاب: الحجّ، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحجّ وغيره، حديث: ١٣٤٣، مسلم شرح النووي، ٥/ ١٢٢.

[٣] سنن أبي داود (ت ٢٧٠هـ)، كتاب: الوتر، حديث: ١٥٤٧، عون المعبود، ص ٦٩٤.

والاستعارة تشبيهٌ بليغٌ حُذِف منه أحدُ طَرَفيه: المُشَبّه أو المشبّه به، فإذا حذفنا الأوّل كانت الاستعارة تصريحية، وإذا حذفنا الثاني تُسَمَّى مكنية، والمكنية أكثر شيوعًا جدًّا جدًّا. والاستعارة «تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخْرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدُّرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر، فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخُرْس مُبينة، والمعاني الخفيّة بادية جليّةً»[١].

وقد وقف البحث مع **ستةٍ من مواضع الاستعارة** في هذه الأدعية المباركة، هي: قوله –صلّى الله عليه وسلم– في دعاء الخروج من المنزل: «أو أزلّ أو أُزَلّ»[٢]. والزلّة هي السيئة بلا قصد، مستعارة من زَلّة القدم، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وقوله في الدعاء الذي علّمه الصدّيق –رضي الله عنه–: «أعوذ بك من شرّ نفسي وشرِّ الشيطان وشَرَكه»[٣]. رُوِيَت (شَرَكه) بفتحتين، أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس، وقد استُعيرت (شَرَكه) للفتن والأذي بجامع الإيذاء والإضرار في كلٍّ.

وقد علّم –صلّى الله عليه وسلم– خالدًا –رضي الله عنه– دعاءً يقولُه عند فزعه بالليل، وفيه: «من شرِّ ما نزل من السماء وما يَعْرُج فيها»[٤]. والاستعارة هنا تبعية في الحرف "في"؛ إذ استعار الظرفية مكان حرف الجر "إلى"، وفي القرآن: **(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)** (المعاج: ٤)، فـ "يعرج" يتعدَّى بالحرف "إلى"، وهذا قول نحاة البصرة؛ إذ قالوا: يُضَمّن الفعلُ معنى يتلاءم

---

[١] أسرار البلاغة، ص ٤٢، ٤٣. وإنْ شئت مزيدَ كلام عن الاستعارة فانظر: الإيضاح، ص٢٨٥– ٣٢٧، والبلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، ص ١٦٣ وما بعدها، وجواهر البلاغة، للهاشمي، ضبط وتدقيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٥٨ – ٢٨٥، وعلم البيان، للدكتور صابر جويلي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م، ص ٥٩ – ٩٦.

[٢] عون المعبود، ص ٢١٧٦، حديث: ٥٠٩٤، وتحفة الأحوذي، ص ٢٤٤٨، حديث: ٣٤٢٧.

[٣] عون المعبود، ص ٢١٦٦، حديث: ٥٠٦٧، وتحفة الأحوذي، ص ٢٤٣٠، حديث: ٣٣٩٢.

[٤] المعجم الأوسط، حديث: ٥٤١٥، ٥/ ٣١٥.

مع الحرف، بينما قال نحاةُ الكوفة: بل الحرف يُضَمّن مَعْنًى يتلاءم مع الفعل، فعلى القول الأوّل يكون قوله: «وما يعرج فيها» مضمّنًا معنى (يدخل)، فيصير المعنى: وما يعرج فيدخل فيها، وعلى الرأي الثاني نقول: (في) بمعنى (إلى)، ويكون هذا من باب التناوب في الحروف، لكنّك لا تجد في هذا القول معنى جديدًا، ومن ثمَّ فإنَّ القول الأول أحسن وأوقع.

وتقدّم في دعاء السفر استعاذته –صلّى الله عليه وسلم– من **وَعْثَاء السفر**، وهي شدته ومشقته، يقال: رملٌ وَعْث ورملة وَعْثاء لما يشتدُّ فيه السّير للينه، ثم قيل للشدّة والمشقة وعثاء. وفي حديث أمِّ زرعٍ في البخاري[١] وغيره: قالت الأولى: «زوجي لحمُ جملٍ غثّ، على رأس جبل»، قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): «قوله:"على رأس جبل" في رواية أبي عبيد والترمذي "وَعْر" وفي رواية الزبير بن بكّار "وعْث" وهي أوفق للسجع، والأول ظاهر أي كثير الضجر شديد الغلظة يصعب الرقي إليه، والوعث بالمثلثة الصعب المرتقى بحيث تُوْحِلُ فيه الأقدام فلا يتخلَّصُ منه ويشقُّ فيه المشي، ومنه وعثاء السفر»[٢].

وقال –صلّى الله عليه وسلم– في استعاذته من المِيتات الشنيعة: «وأعوذ بك أن **يتخبّطني الشيطان** عند الموت»[٣] . أصل "التخبّط" أن يضرب البعير الشيء بخفّ يده فيسقط، واستعير لإفساد العقل والدين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. أمّا لماذا كان الخوف شديدًا من هذا التخبّط عند الموت؟ فلأنّ المدار على الخاتمة.

---

[١] كتاب: النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل، حديث: ٥١٨٩، فتح الباري، ٩/ ٢٩١.

[٢] فتح الباري، ٩/ ٢٩٦.

[٣] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الوتر، حديث: ١٥٥٣، عون المعبود، ص ٦٩٤.

وكان –صلى الله عليه وسلم– إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرضُ ربِّي وربُّك الله، أعوذ بالله من شرِّك وشرِّ ما فيك، وشرِّ ما خلق فيك، وشرِّ ما يَدُبُّ عليك، أعوذ بك من أَسَدٍ وأَسْود، ومن الحية والعَقْرَب، ومن ساكن البلد، ومن والدٍ وما ولد»[١].

في الحديث دليلٌ على أن الأرض لها شعور بكلام الداعي، وقيل: خاطب الأرض اتساعًا، وردّه ابنُ حجر في شرح المشكاة بأن ذلك بالنسبة لغيره –صلّى الله عليه وسلم–، أمّا هو فقد خاطبه الجماد، فهي صالحة لخطابه حقيقةً بخلاف غيره[٢].

وكلام ابن حجر أجود وأحسن؛ فالنبي له من الخصائص ما لغيره، وعليه فلا استعارة في قوله: «يا أرضُ ربِّي وربُّك الله». وساكن البلد هو الجنّ، والبلد من الأرض هو ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ومنازل، ويحتمل أن يكون المراد بالوالد إبليس، وما ولد: الشياطين، والأسود: الشخص؛ فكل شخص يُسَمَّى أسود. ومعنى أعوذ بالله من شرِّك: من شرِّ ذاتك؛ بألا أتعثّر بك من وهدة أو رَبْوَة أنا ولا دابتي، أو بالخسف والتحيّر في الفيافي، أو الوقوع في المصائب والبلايا والمعاصي[٣].

والمجاز المُرْسَل هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي لعلاقةٍ غيرِ المشابَهة[٤]. وكلُّ مجاز مُرْسَل يفيد أمورًا ثلاثة، هي: **التأكيد**؛ لأنه كدعوى الشيء ببيّنة، **والإيجاز**؛ وذلك لأنّ لفظ المجاز يؤدّي معناه أو معنى حقيقته، فالقائل: رعينا الغيث كأنه قال: رعينا العشب الذي نشأ عن الغيث، والبلاغة الإيجاز كما هو مقرّر، **والمبالغة**؛ وذلك أن المجاز مظهرٌ أكيدٌ من مظاهرها، وأنت حين

---

[١] المستدرك على الصحيحين، كتاب: الجهاد، حديث: ٢٥٤٢، ٢/ ١٢١. وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ بعد تخريجه: حسن، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وأخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. انظر: الفتوحات الربّانية، ٥/ ١١٠.

[٢] الفتوحات الربانية، ٥/ ١١٠.

[٣] نفسه، ٥/ ١١٠.

[٤] انظر: الإيضاح، ص ٢٧٧، والبلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، ص١٥٣.

تقول مثلاً: إنّ دماءكم حرامٌ عليكم، وتقصد القتل، فقد بالغت في تصوير بشاعة هذه الجريمة[١].

ومواضع المجاز المرسل المرصودة في أدعية الاستعاذة **ستّة**، أوّلها: «كان – صلّى الله عليه وسلم– إذا دخل الخلاء ...»[٢]، وهو مجاز مُرْسَل علاقته المُسَبَّبية؛ إذ المعنى: إذا أراد الدخول، فالدخول مُسَبَّب عن الإرادة.

والثاني: «كان إذا دخل المسجد...» [٣]، والعلاقة المُسَبَّبية أيضًا؛ فالمقصود إذا أراد دخول المسجد، وثالثها: قوله: «يا عائشةُ، استعيذي بالله من شرِّ هذا الغاسق إذا وقب»[٤]، وقد عرضنا الأقوال في "الغاسق إذا وقب"، ومنها أنه القمر إذا دخل في الظُّلْمة ونحوها مما يستره من كُسُوفٍ وغيره، ويستعاذ منه في هذه الأحوال لأنّ أهل الشر والفساد ينتشرون في الظلمة ويتمكّنون فيها أكثر مما يتمكنون منه في حال الضياء، فيُقْدمون على انتهاك المحارم وفعل العظائم؛ فأضاف فِعْلَهم إلى القمر في ذلك الحال؛ لأنهم يتمكّنون منه بسببه، فيكون هذا مجازًا مُرْسَلاً، علاقته السببية.

والرابع في تعوّذه –صلّى الله عليه وسلم– عند لقاء العدو، كان إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[٥]. ف"نحورهم": مجاز مُرْسَل علاقته الجزئية، وخصّ النحر بالذكر لأنَّ العدو به يستقبل عند المناهضة للقتال، والمعنى: نسألك أن تصدَّ صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا

---

[١] أسرار البيان للصفّ الأول الثانوي الأزهري، للدكتور علي محمد حسن العماري، الأزهر الشريف، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، ص ١٣٤.

[٢] البخاري، كتاب: الوضوء، فتح الباري، ١/ ٢٩٣.

[٣] عون المعبود، كتاب: الصلاة، حديث: ٤٦٦، ص ٢٣٥.

[٤] سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، كتاب: تفسير القرآن الكريم، حديث: ٣٣٦٦، تحفة الأحوذي، ص٢٤١٨.

[٥] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الوتر، باب: ما يقول الرجل إذا خاف قومًا، حديث: ١٥٣٧، عون المعبود، ص ٦٩٢، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٤٧٠٦، ص٨٥٩.

وبينهم[١]. وهذه الصورة –كما ترى– بهيّة الطلعة جميلة المنظر، ومما زادها بهاء ما أحاط بها من هالات حُسْنٍ ووضاءة، فقد جاءت مؤكدة، والتأكيد داخلٌ على ضمير الجمع؛ إنه الإحساس النابض من قلوب الجميع بشدة الاحتياج إلى الله، ثم جاء الفعل مضارعًا ليفيد بأنّه التجاء متجدد واعتصام متكرر، وغُلّف هذا كلّه بغلافِ سجعٍ رشيقٍ غيرِ متكلّف.

ويلقانا الموضع الخامس في دعاء السفر، في قوله: «ودعوة المظلوم»، حيث استعاذ النبي –صلّى الله عليه وسلم– من "دعوة المظلوم"، وهو مجاز مرسل علاقته المُسَبَّبية؛ فالمعنى: أعوذ بك من الظلم فإنه يترتّب عليه دعاء المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

والموضع السادس والأخير في تعوّذه –صلّى الله عليه وسلم– من: «فتنة الصدر»، فعن عمر –رضي الله عنه– قال: كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– يتعوّذ من خمس: «اللهمّ إني أعوذ بك من الجُبن، والبخل، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر»[٢]. و"الصدر": مجاز مُرْسَل علاقته المحليّة؛ فالمراد القلب.

٢– مراعاةُ النظير:

ومن أسمائه عند البلاغيين أيضًا: التناسب، والائتلاف، والمؤاخاة، والتوافق، والتلفيق، والملاءمة. وهو الجمعُ بين أمرين أو أمورٍ متناسبة، لكن لا على جهة التضاد[٣].

---

[١] عون المعبود، ص ٦٩٢.

[٢] المستدرك على الصحيحين، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث: ١٩٩٥، ١/ ٧٢٠، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[٣] انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حِجّة الحَمَوي (ت ٨٣٧هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتورة كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م، ٢/ ٣٣٥، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، ١١/١ تحت اسم "الائتلاف، وعلم البديع، للدكتور صابر جويلي، دار المعرفة الجامعية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، ص ٣٤.

ولعلّك إذا طالعتَ أحاديث الاستعاذة واجدٌ مواضعَ كثيرة فيها مراعاةٌ للنظير، ومنها قوله –صلّى الله عليه وسلم– إذا أوى إلى فراشه: «اللهم ربَّ السماواتِ وربَّ الأرض وربَّ كلِّ شيء فالقَ الحبِّ والنَّوى منزلَ التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخذ بناصيته...» [١]. فإذا قلتَ: ما وجه النظم بين هذه القرائن؟ قلتُ: وجهه «أنه –صلّى الله عليه وسلم– لما ذكر أنه –تعالى– ربُّ السماوات والأرض أي مالكهما ومدبّر أهلهما عقّبه بقوله: فالق الحبّ والنَّوى؛ ينتظم معنى **الخالقية والمالكية**؛ لأنّ قوله تعالى: (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**) تفسير لفالق الحبّ والنَّوى، ومعناه: يخرج الحيوان النامي من النطفة والحبّ من النَّوَى، ويخرج الميّت من الحيّ، أي يخرج هذه الأشياء من الحيوان النامي، ثم عقب ذلك بقوله: "منزل التوراة" ليؤذن بأنه لم يكن إخراج الأشياء من كتم العدم إلى فضاء الوجود إلا ليعلم ويُعْبَدَ ولا يحصل ذلك إلا بكتاب ينزله ورسول يبعثه، كأنه قيل: يا مالك يا مدبِّر يا هادي أعوذ بك»[٢].

وتقدّم أنه –صلّى الله عليه وسلم– كان إذا أراد دخول قرية قال: «اللهم ربَّ السماوات السبع، وما أظللن، وربَّ الأَرَضين، وما أَقْللن، وربَّ الشياطين، وما أضللن، وربَّ الرياح، وما ذرين ...» [٣]. أرأيت كيف أتى مع كلِّ شيء بما يناسبه؟ فحين ذكر السماوات قال: «وما أظللن»، ولمّا جاء ذكر الأَرَضين قال: «وما أقللن»، ومع الشياطين: «وما أضللن»، ثمّ مع الرياح: «وما ذَرَيْن»، فأيّة بلاغة تداني بلاغته –صلّى الله عليه وسلم–؟!

---

[١] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، حديث: ٥٠٥١، عون المعبود، ص ٢١٦١.

[٢] تحفة الأحوذي، ص ٢٤٣٤.

[٣] السنن الكبرى للنسائي (ت ٣٠٣هـ)، حديث: ١٠٣٠١، ٩/ ٢٠٠.

وكان –صلّى الله عليه وسلم– يتعوّذ بالله من «الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والجُبْن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال»[١]. وإذا تأمَّلتَ في هذه الأشياء المستعاذ منها وجدت كلّ اثنين منها قرينين؛ «**فاللهمُّ والحزن قرينان:** فإنَّ المكروه الوارد على القلب إنْ كان من أمر مستقبل يتوقعه أحدث الهمّ، وإنْ كان من أمر ماضٍ قد وقع أحد الحزن. **والعجز والكسل قرينان:** فإنَّ تخلّف العبد عن أسباب الخير إنْ كان لعدم قدرته فهو العجز، وإنْ كان لعدم إرادته فهو الكسل. **والجبن والبخل قرينان:** فإنَّ عدم النفع منه إنْ كان ببدنه فهو الجبن، وإنْ كان بماله فهو البخل. **وضلع الدين وقهر الرجال قرينان:** فإنَّ استعلاء الغير عليه إنْ كان بحقّ فهو من ضلع الدين، وإنْ كان بباطل فهو قهرُ الرجال»[٢].

واستعاذ النبي –صلّى الله عليه وسلم– من «البرص والجنون والجُذَام وسيئ الأسقام»[٣]. ولعلّ مما يعتلج في صدرك: لماذا هذه الأمراض بالذات؟ والجواب عند الطِّيبي (ت ٧٤٣هـ) في قوله: «لم يستعِذْ بالله من سائر الأسقام؛ لأنَّ منها ما إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصبر خَفّت مؤونته وعَظُمت مثوبته، كالحُمَّى والصداع والرَّمَد، وإنما استعاذ من السَّقَم المزمن، فينتهي بصاحبه إلى حالة يفرُّ منها الحميم ويقلُّ دونها المؤانس والمداوي، مع ما يورث من الشَّيْن، فمنها الجنون الذي يُزيل العقل فلا يأمن صاحبه القتل، ومنها البرص والجذام، وهما العلّتان المزمنتان مع ما فيهما من القذارة والبشاعة، وتغيير الصورة، وقد اتفقوا على أنهما معديان إلى الغير»[٤].

---

[١] البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوّذ من غلبة الرجال، حديث: ٦٣٦٣، فتح الباري، ١١/ ١٩٥.

[٢] الداء والدواء، لابن القيم (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد رضوان أحمد، مكتبة طالب العلم ناشرون، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص ١٠٢.

[٣] سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: الوتر، باب: في الاستعاذة، حديث: ١٥٥٤، عون المعبود، ص ٦٩٥.

[٤] شرح الطيبي (ت ٧٤٣هـ) على المشكاة، ص ١٩١٨.

٣- صِحَّةُ التقسيم:

صحّةُ الأَقْسَام عبارةٌ عن استيفاء المتكلِّم أقسامَ المعنى الذي هو آخذٌ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئًا[١]، ومثالُه من السُّنة، قوله: -صلى الله عليه وسلم- «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأَفْنَيت، أو لَبِسْتَ فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت»[٢]؛ فهذه الأقسام الثلاثة لا رابع لها. وفائدتُه: حصرُ جوانبِ المعنى، وترتيبُها في ذِهْنِ السامع في جمل متناسبة، ومن ثَمَّ تزيدُ درجةُ الإقناع.

ولا تعجب من كثرة الأدعية التي استوفى فيها النبي -صلّى الله عليه وسلم- أقسام المعنى؛ فقد آتاه الله جوامع الكلم، وامتلك زمام البلاغة، فجاءت أدعيته جوامع كوامل محيطةً بالمعنى من كلِّ جوانبه، ورحم الله أحمد شوقي حين قال[٣]:

فما عَرَفَ البلاغةَ ذو بَيَانٍ إذا لم يتخذْكَ له كتابا

ومن استعاذاته التي فيها استيفاءٌ للأقسام: قَوْلُه -صلّى الله عليه وسلم-: «**اللهم إنّي أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضَلَع الدين وغلبة الرجال**». قال الكِرْماني (ت ٧٨٦هـ): «هذا الدعاء من جوامع الكلم؛ لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب القوى التي للإنسان، وهي ثلاث: العقلية والغضبية والشهوانية، فالهم والحزن يتعلّق بالعقلية، والجبن بالغضبية، والبخل بالشهوانية، والعجز والكسل بالبدنية، والثاني يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقُوَى، والأوّل

---

[١] تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ١٧٣، وخزانة الأدب وغاية الأرب، ٤/ ٣٦.

[٢] صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، حديث: ٢٩٥٨، مسلم بشرح النووي، ٩/ ٣٢٠.

[٣] الشوقيات، هنداوي، د. ت، ص ٩٧.

عند نقصان عضوٍ ونحوه، والضلع والغلبة بالخارجية، فالأوّل مالي والثاني جاهي، والدعاء مشتمل على جميع ذلك»[١].

ودعاؤه –صلى الله عليه وسلم–: «**اللهم إنّي أعوذ بك من جَهْد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء**» من الأدعية الجوامع؛ لأنَّ المكروه «إما أن يُلاحظ من جهة المبدأ، وهو سوء القضاء، أو من جهة المعاد، وهو درك الشقاء؛ إذ شقاوة الآخرة هي الشقاء الحقيقي، أو من جهة المعاش، وذلك إمّا من جهة غيره، وهو شماتة الأعداء، أو من جهة نفسه، وهو جهد البلاء، نعوذ بالله من ذلك!» [٢].

ومن مواضع استيفاء الأقسام: قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «**اللهم إنّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِم أو أُظْلَم، أو أَجْهَل أو يُجْهَل عليَّ**». فالإنسان إذا خرج من بيته لابد له من معاشرة الناس ومزاولة الأمور، فيخاف أن يَعْدِل عن الطريق المستقيم، وهذا إمّا أن يكون في أمر الدين، فلا يخلو من أن يَضِلّ أو يُضَل، وإمّا أن يكون في أمر الدنيا، فإمّا بسبب جريان المعاملة؛ بأن يَظْلِم أو يُظْلَم، وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة، فإمّا أن يَجْهل أو يُجْهَل عليه، فاستُعيذ من هذه الأحوال كلّها بلفظٍ سَلِسٍ مُوْجَز، ورُوعي المطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية، كقول الشاعر:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ويعضد هذا التأويل الحديث الذي فيه: "هُديت، وكُفيت، ووُقيت"؛ فقوله: "هُديت" مطابق لقوله: "أن أَضِل أو أُضَل"، وقوله "كُفيت" مطابق لقوله: "أَظْلِم أو أُظْلَم"، وقوله: "وُقيت" مطابق لقوله: "أو نَجْهل أو يُجْهَل علينا"[٣].

---

[١] شرح الكِرْماني (ت ٧٨٦هـ) على صحيح البخاري، المُسَمَّى بالكواكب الدراري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٢٢/ ١٥٩.

[٢] شرح الكِرْماني (ت ٧٨٦هـ)، ٢٢/ ١٥١، وعُمْدة القاري شرح صحيح البخاري، للعَيْني (ت٨٥٥هـ)، دار الفكر، د. ت، ٢٢/ ٣٠٤.

[٣] شرح الطيبي على المشكاة، ص ١٩٠٤، ١٩٠٥.

ويمكن أن يقال أيضًا: استعاذ من أن يصدر منه ذنب بغير قصد أو قَصْد، ومن أن يظلم الناس في المعاملات، أو يؤذيهم في المخالطات، أو يفعل بهم فعل الجُهَّال من الأذى[١].

وفي تعوّذه عند **رؤية الريح** ترى استيفاءً للأقسام، يقول –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم إنّي أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرْسِلت به»، وفي دعاء **لُبْس الثوب الجديد** أيضًا، يقول –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صُنِع له، وأعوذ بك من شرِّه، وشرِّ ما صُنِع له»، فالخير في الثوب خيران لا ثالثَ لهما: خيرُه وخيرُ ما صنع له، وتقدّم معناهما، والشرُّ فيه أيضًا شرَّان لا ثالث لهما: شرُّه وشرُّ ما صنع له.

وفي **دعاء الألم: «أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر»**، والألم ألمان: ألم فيه الإنسان، وَجَدَه ويعاني منه، وألم يُتَوقَّع حصولُه في المستقبل.

وفي الدعاء الجامع الذي علّمه السيدة عائشة –رضي الله عنها–: «اللهمَّ إنّي أسألك من الخير كلّه، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كُلِّه، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرّب إليها من قولِ أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك منه عَبْدُك ورسولك محمد، وأعوذ بك من شرِّ ما استعاذ منه عَبْدُك ورسولك محمد».

الإنسان يسأل رَبَّه إمَّا جَلْب خير وإما دفع شرّ، لا ثالث لهما، والخيرُ إمّا عاجل وإما آجل، معلوم أو غير معلوم، والشرُّ كذلك، إمّا عاجلٌ وإمّا آجل، معلوم أو غير معلوم، وغاية الإنسان دخول الجنة والعتق من النيران، والذي يُقَرّب منهما أو يباعد عنهما إمّا قول وإمّا عمل. ودعاؤه –صلّى الله عليه وسلم– إمّا سؤال خير، وإمّا استعاذة من شر. أرأيت كيف احتوى الدعاء على كل هذه المعاني، واستوفى أقسامها. فحريٌّ بكلِّ عاقل ألا يَغْفَلَ عن هذا الدعاء الجامع الكامل.

---

[١] تحفة الأحوذي، ص ٢٤٤٩.

وفي خطبة الجمعة أو خطبة الحاجة قولُه –صلّى الله عليه وسلم–: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**»[١].

قوله: «من سيئات أعمالنا» فيه قولان[٢]:

الأوَّل: أنَّه استعاذة من **الأعمال السيئة التي قد وُجِدَتْ**، فيكون الحديث قد تناول نَوْعَي الاستعاذة من الشرّ المعدوم الذي لم يُوْجد، ومن الشرِّ الموجود، فطَلَبَ دَفْع الأول ورَفْع الثاني.

والثاني: إنَّ سيئات الأعمال هي **العقوبات**، وعلى هذا يكون من استعاذة الدفع أيضًا، لكنه دَفْعُ المُسَبَّب والأوّل دَفْعُ السبب، فيكون قد استعاذ من حصول الألم وأسبابه، والقولان محتملان.

ومن ثَمَّ فالاستعاذة قد اشتَمَلَتْ على أصول الشرِّ كُلِّه، وهي شرّ النفس الكامن فيها الذي لم يخرج إلى العمل، وشرّ العمل الخارج الذي سوَّلته النفس. فالأوّل شرُّ الطبيعة والصفة التي في النفس، والثاني شرُّ العمل المتعلِّق بالكسب والإرادة، ويلزم من المعافاة من هذين الشرّين المعافاة من موجَبهما، وهو العقوبة، فتكون الاستعاذة قد شَمِلَتْ جميع أنواع الشرّ بالمطابقة واللزوم.

٤- الترقِّي:

رَقِيَ إلى الشيء رُقِيًّا ورُقُوًّا وارتقى يرتقي وتَرَقَّي: صَعِد، ورَقَّى غيره. ويقال: ما زال فلانٌ يترقَّى به الأمر حتى بَلَغَ غايته[٣].

---

[١] سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، حديث: ١١٠٥، تحفة الأحوذي، ص ١١٤٦.

[٢] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيّم (ت ٧٥١هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، وخرّج أحاديثه: زائد بن أحمد النَّشيري، بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زويد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ، ص ٢٠٠، وبدائع الفوائد، ص ٧١٦.

[٣] لسان العرب، مادة (رقا)، ١٤/ ٣٣١.

والترقِّي هو أن يُذْكَر معنى ثم يُرْدَف بأبلغ منه، ومثاله: قوله تعالى: (**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**) (الأعراف: ١٩٥)، فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقِّي؛ لأن منفعة الوصف الرابع أهم من منفعة الثالث، فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأوّل، فهو أشرف منه، ومثاله أيضًا: قوله تعالى: (**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**) (الأعراف: ١٩٥) [١].

ومن أمثلة الترقّي: قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «**اللهم إنّي أعوذ بك من الكسل، والهَرَم، وسوء الكِبَر**». قال الطِّيبي: «يمكن أن يراد بالفقرات كلّها معنى الترقّي، استعاذ أولاً من الكسل، أي أعوذ بك أن أتثاقل في الطاعة مع استطاعتي، ثم من الهرم الذي فيه سقوط بعض الاستطاعة، فيقوم ببعض وظائف العبادات، ثم من سوء الكبر الذي يصيرُ فيه كالحِلْس المُلْقَى على الأرض، لا يصدر منه شيء منه الخيرات»[٢].

ومن أمثلته أيضًا: قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[٣]. استعاذ النبي –صلّى الله عليه وسلم– بالله تعالى، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، وجاء بالمفاعلة مبالغة، وصرَّح بهذا مع تضمّن الأوّل له؛ لأنّ الإطناب في باب الدعاء محمود، ولأنّ المطابقة أقوى من التضمّن، ولأنّ الراضي قد يعاقب للمصلحة أو لحقِّ الغير، فكان التصريح بذلك لابد منه، والرضا والسخط ضدّان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فاستعاذ من أحد الضدّين بالآخر، فلما صار إلى ذكر ما لا ضدَّ له وهو الله –سبحانه وتعالى– استعاذ به منه لا غير، ومعناه: الاستغفار من

---

[١] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص ٧٦٣، ومعجم المصطلحات البلاغة، ٢/ ١٤٠.

[٢] شرح الطيبي على المشكاة، ص ١٨٧٢.

[٣] مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، حديث: ٤٨٦، مسلم بشرح النووي، ٢/ ٤٤٠.

التقصير في بلوغ الواجب من حقِّ عبادته والثناء عليه[١]. وتنكير "ثناءً" يدلُّ على العجز عن ضبط فرد من أفراد الثناء الواجب لك عليَّ في كلّ لحظة وذرّة؛ إذ لا تخلو لمحةٌ قط من وصول إحسان منك إليّ في كلّ ذرة من تلك الذرّات، فلو أردتُ أن أُحْصي ما في طيّها من النعم لعجزتُ لكثرتها وجدّتها (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**) (إبراهيم: ٣٤)[٢].

ومن أجمل مواضع الترقّي: قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «**اللهمَّ إنّي أعوذ بك من عِلْمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نَفْسٍ لا تَشْبَع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»[٣].

العلم الذي لا ينفع يُقَسِّي قَلْبَ صاحبه، فهو عِلْمٌ من دون تزكيةٍ، علمٌ لا يصاحبه عمل، يطلبه صاحبُه ليجاريَ به العلماء ويماريَ به السفهاء ويصرفَ به وجوهَ الناس إليه، تَرَى صاحبَ هذا العلم حريصًا على المناصب، مفارقًا قوله عمله، متصيّدًا أخطاء الآخرين، مجاهرًا بها أمام العامّة، إظهارًا لفضله ومقدرته وتميّزه، ولا يزال هذا حالَه وديدنَه حتى يُحَال بينه وبين قلبه؛ فلا يخشع، وتِلْكم مصيبة كبرى؛ فعلى القلب مدارُ صلاحِ البقيّة، فإن فَسِد فلا ترجُ لها صلاحًا؛ فبفساد الملك تَفْسُد الرعية؛ فالنَّفْس لا تَشْبَعُ أبدًا، ولا يملأ جوفَها إلا التراب، ولا تُبَالي إنْ أخذت مالاً بغير حقِّه، ويجري عليها حديثه –صلّى الله عليه وسلم– : «إنَّ كل ما يُنْبتُ الربيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أو يُلِمُّ، إلا آكلَة الخَضِر، فإنها أَكَلَتْ حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبَلت الشمس فثَلَطَتْ أو بَالَتْ، ثم اجترَّت فعادت، فأَكَلَتْ، فَمَن يأخذْ مالاً بحقّه يُبَارَكْ له فيه، ومَن يأخذْ مالاً بغير حقِّه فمثلُه كمثلِ الذي يأكلُ ولا يشبع»[٤].

---

[١] مسلم بشرح النووي، ٢/ ٤٤٢.

[٢] الفتوحات الربّانية على الأذكار النواوية، ٢/ ١٨٢، ١٨٣.

[٣] مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوّذ من شرِّ ما عمل، حديث: ٢٧٢٢، مسلم بشرح النووي، ٩/ ٤٨.

[٤] مسلم، كتاب: الزكاة، باب: تخوّف ما يخرج من زهرة الدنيا، حديث: ١٠٥٢، مسلم بشرح النووي، ٤/ ١٥٢. وأوّل الحديث: قام رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– فخطب الناس فقال: «لا والله! ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يُخْرِجُ الله لكم من زهرة الدنيا» فقال رجل: يا

وفي الحديث مثلان جميلان مضروبان: الأوّل: تشبيهُ آخذِ المال بغير حقّه بالدابة التي تسرف في أكل أحرار البقول وتمسك ما في بطنها، فتصاب بالتخمة فتهلِك، فحالة المبطون المتخوم كحالة من يجمع المال ولا يصرفه في وجوهه. والثاني: تشبيهُ آخذِ المال بحقّه بآكلة الخَضِر التي لا تسرف في أكلها، ولا تمسك ما في بطنها، فتنتفع وتسلَم، وهكذا حال من يجمع المال ثم يصرفه في وجوهه[١].

وهذه النفس التي لا تَشْبَعُ لا يُسْمَعُ دعاؤها؛ لأنها لم تتحرَّ الحلال، وفي الحديث: «ثُمَّ ذكر الرجلَ يطيلُ السَّفَر، أشعث أغبر، يمدُّ يَدَيْه إلى لاسماء، يا ربِّ يا ربِّ! ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، ومَلْبَسُه حَرَام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يُسْتجابُ لذلك؟»[٢]. فانظر كيف حالت النفقةُ الحرام دون إجابة الدعوة!. ثم تأمّلْ هذا الترقّي العجيب في الحديث، فالعلمُ الذي لا ينفع يقود إلى القلب الذي لا يخشع، والقلب الذي لا يخشع يُنتج نفسًا لا تشبع، والنفسُ التي لا تشبع دعوتُها لا تُسْمَع.

علم لا ينفع
↓
قلب لا يخشع
↓
نفس لا تَشْبع
↓
دعوة لا تُسْمع

رسول الله! أيأتي الخيرُ بالشرِّ؟ فصمت رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– ساعة ثم قال: «كيف قلتَ؟» قال: قلتُ: يا رسول الله! أيأتي الخير بالشرّ؟ فقال له رسول الله –صلّى الله عليه وسلم–: «إن الخير لا يأتي إلا بخير، أو خيرٌ هو. إنَّ كلَّ ما يُنبت الربيعُ ...». والحَبَطُ: التخمة، وقوله: "أو يُلِمُّ" معناه: أو يقارب القتل.

[١] انظر الكلام على بلاغة هذا الحديث في: روائع من أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم– (دراسات لغوية وفكرية وأدبية)، لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٦، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص ٣٣ وما بعدها.

[٢] مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث: ١٠١٥، مسلم بشرح النووي، ٤/ ١٠٧.

٥- التقييد بالصِّفة:

المُسْنَد إليه والمُسنَد هما رُكْنا الجملة، وقد يكون في الجملة غير هذين الركنين، وهو ما يُسَمّيه علماء البلاغة قيودًا؛ فالقيود إذن هي كلّ ما زاد عن المسند والمسند إليه؛ غير صلة الموصول والمضاف إليه، فالمفاعيل الخمسة –وهي: المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول المُطْلَق، والمفعول لأجله، والمفعول معه–، والتوابع –وهي: النعت، والتوكيد، وعطف البيان، وعطف النسق، والبدل–، والحال، والتمييز، والنفي، وأدوات الشرط، والأفعال الناسخة؛ كلها قيود؛ لأنها زائدة على رُكْني الجملة[١].

ولهذه القيود[٢] فوائد عرفها أهل البلاغة والبيان، يقول الهاشمي: «واعلم أنّ معرفة خواصِّ التركيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصُّنْع، ولطائف المزايا، يسترعي لُبَّك إلى أن التقييد .. يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع؛ لما هو معروف من أنّ الحكم كلما ازدادت قيودُه ازداد إيضاحًا وتخصيصًا، وحينئذ تكون فائدته أتمَّ وأكمل»[٣].

وقد اخترنا التقييد بالصفة؛ لحضورها القويّ في أحاديث الاستعاذة، وهو حضورٌ له فضلٌ كبيرٌ –كما سيأتي– في كشف المعنى ووضوح المفهوم، واكتمال الصورة في النفس على وجه لا يُطلب بعده المزيد، وأيضًا فإنّ مقام البحث يضيق عن استيفاء القيود الأخرى.

---

[١] البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص ٩١.

وجديرٌ بالذكر أن علماء النحو يُسَمُّون هذه القيود فضلات، فالحال فضلة، والتمييز فَضْلة، وهكذا.

[٢] انظر في تفصيل الكلام في هذه القيود: البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص٣٣٥، وجواهر البلاغة، للهاشمي، ص ١٤١، وأثر المقيِّدات في تشكيل المعنى في سورة يوسف (دراسة بلاغية)، للدكتور صابر جويلي، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد الثامن، يناير ٢٠١٥م، والحديث النبوي من الوجهة البلاغية، للدكتور كمال عز الدين، دار اقرأ، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، الفصل الخاص باستعمال الصفات، ص٤١٣.

[٣] جواهر البلاغة، ص ١٤١.

والنعت يُؤْتَى به لأغراض كثيرة، منها: التعميم، والتوكيد، والتخصيص، والمدح، والذمّ، والترحّم، والتوضيح، وغير ذلك[١].

ومن مواضع التقييد بالصفة: قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «**اللهم إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا تُسْمَع**»[٢]. قال الطّيبي (ت ٧٤٣هـ): «اعلم أنَّ في كلٍّ من القرائن **ما يُشْعِرُ أنّ وجوده مبنيٌّ على غايته**، وذلك أنّ تحصيل العلم إنما هو للانتفاع به، فإذا لم ينتفع لا يخلصُ منه كفافًا، بل يكون وبالاً، ولذلك استعاذ منه، وأنّ القلب إنما خُلِق لأن يتخشّع لبارئه، وينشرح لذلك الصدر، ويقذف النور فيه، فإذا لم يكن كذلك كان قاسيًا، فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: (**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**)، وأنّ النَّفس إنما يُعْتَدُّ بها إذا تجافت عن دار الغرور، وأنابت إلى دار الخلود، والنفس إذا كانت منهومة لا تشبع، حريصة على الدنيا، كانت أعدى عَدُوٍّ المرء، فأوّل شيء يُستعاذ منه هي، وعدم استجابة الدعاء دليل على أنّ الداعي لم ينتفع بعلمه، ولم يخشع قلبه، ولم تشبع نَفْسُه»[٣].

وجاء وصْفُ كلمات الله **بالتامة** أو **التامات** في أكثر من دعاء، وفي حديث خالد بن الوليد –رضي الله عنه– زيادة: «التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر»[٤]، وهي–التامة– صفة كاشفة لكلمات الله؛ لأن كلمات الله كلها تامّة، ووصفت بهذا لخلوّها عن العوارض والنواقص، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على حسب تفاوتهم في العلم واللهجة وأساليب القول، فما منهم من أحدٍ إلا وقد يُوَجّه فوقه آخر، إما في معنى أو في معان كثيرة، ثمَّ إنَّ أحدهم قلّما يَسْلَم من معارضةٍ أو خطأ أو نسيان أو العجز عن

---

[١] انظر: شرح شذور الذهب، لابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٩م، ص ٤٣٩، وشرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٩م، ٣/ ١٤١.

[٢] مسلم، حديث: ٢٧٢٢، مسلم بشرح النووي، ٩/ ٤٨.

[٣] شرح الطيبي (ت ٧٤٣هـ) على المشكاة، ص ١٩١٥، ١٩١٦.

[٤] المعجم الأوسط، حديث: ٥٤١٥، ٥/ ٣١٥.

المعنى الذي يُرَاد، وأعظم النقائص أنها كلمات مخلوقة، وكلُّ هذه النقائص منتفية عن كلمات الله –عز وجلّ–[١].

وكلمات الله قيل: كلامه على الإطلاق، وقيل: ما وَعَدَ به، وقيل: أقضيته[٢]. والقول بأنها الأقضية تؤيّده زيادة: «التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر»، ومجيء الصفة هنا بالاسم الموصول يُوسّع مجال استيعابها، ويساعد في الإفصاح عمّا في النفس من معاني الموصوف، وبهذا نصل إلى تعظيمه؛ إذ يكون الموصول الاسمي وُصلة إلى ما يستتبع من جملة الصلة . والتعظيم هنا بنفي إمكانية المجاوزة ممن تتجدد منه المحاولة، لما يفيده المضارع المنفي الواقع صلة، وفي اقتران البَر بالفاجر على الطباق مسندًا إليهما هذا الفعل تأكيدٌ للنفي المطلق عن إمكان أيّ حادث، وعدم مجاوزة البَرِّ إنما هي لمنع البِرِّ إياه؛ فعاصمُه من قلبه وعقيدته، وعدم مجاوزة الفاجر إنما هي لمنع الله ثم أوليائه ذيادًا عن كلمات الله؛ فالعاصم خارجٌ عن ذاته قاهرٌ له[٣]. وفي رواية خالد أيضًا: قوله –صلى الله عليه وسلَّم–: «ألا أعلمك كلمات علمني الروح الأمين»، فوصف الكلمات بقوله: «علمني الروح الأمين»، وهذا مدحٌ لهذه الكلمات وتعظيمٌ لشأنها؛ فأَعْظِمْ بكلماتٍ يعلمها جبريل–عليه السلام–!.

وفي دعاء دخول المسجد[٤] وصف لاسم الجلالة بـ "العظيم"، ولوجهه بـ"الكريم"، وسلطانه بـ "القديم"، وهي صفاتُ مدحٍ وعظمة، وفيه أيضًا وصفٌ للشيطان بـ "الرجيم"، وهي صفة ذمّ، فالرجيم هو المرجوم المُبْعَد من رحمة الله.

وجاء النعت للمدح أيضًا في الدعاء الذي علّمه النبي –صلَّى الله عليه وسلم– للصديق –رضي الله عنه–: «اللهمَّ فاطرَ السماوات والأرض عالمَ الغيب والشهادة ربَّ كلّ شيء ومليكه ...»[١].

---

[١] الفتوحات الربانية، ٤/ ٣٤.

[٢] فتح الباري، ٦/ ٤٦٠.

[٣] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص٤٣٣.

[٤] تقدّم تخريجه، عون المعبود، ص ٢٣٥.

فـ «فـاطر السـماوات والأرض» و«عـالم الغيـب والشـهادة»، و«ربّ كـل شـيء ومليكه» صفات في وجه من وجوه الإعراب[٢].

وجـاء التقييد بالصـفة للتخصـيص فـي قولـه –صـلّى الله عليـه وسلم–: «... ربّ أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر»[٣].

ومن أدعيته –صلى الله عليه وسلم–: «اللهمّ إني أعوذ بك من البَرَص والجنون والجذام وسيئ الأسقام»[٤]. الإضافة ليست بمعنى "مِنْ" كما في قولك: خاتم فضة، بل هي من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الأسقام السيئة، وهذا القيد يُخرج الأمراض التي إذا تحامل الإنسان فيها على نَفْسه بالصبر خفّت مؤونته وعَظُمَت مثوبته كالحُمّى والصُدَاع والرَّمَد.

وكان –صلّى الله عليه وسلم– يقول إذا أَوَى إلى فراشه: «اللهم رَبَّ السماوات وربَّ الأرض ورَبَّ كلِّ شيء فالقَ الحبّ والنَّوَى منزلَ التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخذ بناصيته ...» [٥]. "ربَّ السماوات والأرض"، و"فالقَ الحبّ والنَّوَى" و"مُنزلَ التوارة والإنجيل والقرآن"، كلُّ هذه صفات جاءت للمدح والتعظيم، يتوسّل بها الإنسان بين يدي دعائه واستعاذته، كأنه يقول: يا مالك يا مدبّر يا هادي أعوذ بك من شرِّ كلّ ذي شرٍّ لا يخرج عن سلطانك ولا يغيب عن علمك وإحاطتك.

---

[١] عون المعبود، ص ٢١٦٦.

[٢] جاء في الدُّر المصون (٣/ ٩٩) في إعراب قوله تعالى: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ)** (آل عمران: ٢٦) "مالكَ الملك" فيها أوجه: أحدها: أنه بدل من اللهمّ. الثاني: أنه عطف بيان. الثالث: أنه منادى ثانٍ. الرابع: نعت لـ "اللهمّ" على الموضع، فلذلك نُصِبَ، وهذا ليس مذهب سيبويه، وأجاز المبرّد ذلك، واختاره الزجّاج.

[٣] مسلم بشرح النووي، ٩/ ٤٨.

[٤] عون المعبود، ص ٦٩٥.

[٥] عون المعبود، ص ٢١٦١.

٦- السجع:

السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد[١]. أو هو الكلام المُقَفَّى من غير مراعاةِ وزنٍ. وينبغي أن تكون الألفاظ في السجع تابعة للمعنى، وليس العكس، أي المعنى تابعًا للفظ، وأن تكون بعيدة عن الغثاثة والتكلّف والتصنّع[٢].

وقد ترجم البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات بابًا بعنوان: "باب ما يُكْرَهُ من السجع في الدعاء"، وساق وصية ابن عباس –رضي الله عنهما– لعكرمة، وفيها: «فانظر السَّجع من الدعاء فاجتنبْه، فإنِّي عَهِدْتُ رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك»[٣]. قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): «قوله: (وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه): أي لا تقصدْ إليه، ولا تشغلْ فكرك به؛ لما فيه من التكلّف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء، وقال ابن التين: المراد بالنهي المستكرَه منه، وقال الداودي: الاستكثار منه»[٤].

وقال أيضًا: «ولا يردُ على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة؛ لأن ذلك كان يَصْدُرُ من غير قَصْدٍ إليه، ولأجل ذلك يجيء في غاية الانسجام ... قال الغزالي: المكروه من السجع هو المتكلّف؛ لأنه لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلّفة، قال الأزهري: وإنما كرهه –صلّى الله عليه وسلم– لمشاكلته كلامَ الكهنة»[٥].

---

[١] المثل السائل في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، قدّمه وعلّق عليه: الدكتور بدوي طبانة والدكتور أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١/ ٢١٠.

[٢] علم البديع، للدكتور صابر جويلي، ١٨٩.

[٣] فتح الباري، ١١/ ١٥٧. وقوله: "لا يفعلون إلا ذلك": يعني إلا ذلك الاجتناب، يعني يتركون السجع.

[٤] المصدر نفسه، ١١/ ١٥٨.

[٥] نفسه، ١١/ ١٥٨.

والرأي نفسُه تجده عند النووي (ت ٦٧٦هـ) في تعليقه على أحد الأحاديث المسجوعة، يقول: «هذا الحديث وغيره من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء، أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلّف، فإنه يُذْهِبُ الخشوع والخضوع والإخلاص، ويُلْهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب، فأمّا ما حصل بلا تكلّف ولا إعمال فِكْر لكمال الفصاحة ونحو ذلك، أو كان محفوظًا فلا بأس به، بل هو حسن»[١].

وأظنُّك الآن قد زال ما في صدرك من اضطراب في شأن السجع، اضطراب سببّه كراهيةُ ابن عبّاس –رضي الله عنهما– له، وقبله حديث: «أسَجْعٌ كسجعِ الكهّان»[٢]، ورؤيتك بعض الأحاديث الصحيحة مسجوعة، فالمدار في الكراهية –إذن– على التكلّف والتصنّع، وما كان أبعده –صلّى الله عليه وسلم– عن هذا!، والمدار أيضًا على معارضة أحكام الشريعة ومحاولة إبطالها وذهاب الخشوع والخضوع في العبادة، وهل كانت حياته –عليه الصلاة والسلام– إلا لأجل إحقاق أحكام الشريعة؟ ثُمَّ هل عَرَفَتْ البشرية أتقى لله وأخشى وأخشع منه –صلّى الله عليه وسلم–؟

كثيرٌ من استعاذاته –صلّى الله عليه وسلم– مسجوع، لكنّه –كما تقدم– سجعٌ أتى به المعنى لم يُتكلّف، ومن هذه السجعات: دعاؤه –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم إني

---

[١] مسلم بشرح النووي، ٩/ ٥١.

[٢] الحديث رواه مسلم في كتاب: القسامة، باب: دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ، ونصُّه كاملاً: "ضَرَبَتْ امرأةٌ ضَرَّتها بعمود فُسْطاط وهي حُبْلى، فقتلتها، قال: وإحداهما لِحْيَانيّة، قال: فجعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دية المقتولة على عَصَبَة القاتلة، وغُرَّةً لما في بطنها، فقال رجل من عَصَبَة القاتلة: أَنَغْرَم ديةَ مَنْ لا أَكلَ ولا شربَ ولا استهلَّ؛ فمثلُ ذلك يُطَلُّ، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «أسجعٌ كسجع الأعراب؟». مسلم بشرح النووي، ٦/ ١٩١.

الغُرَّة: عبدٌ أو أَمَة، يُطَلُّ: يُهْدَرُ ولا يُضْمَنُ. قال العلماء: إنما ذُمَّ سَجْعُه لوجهين: أحدهما: أنه عارض به حُكْم الشرع ورام إبطاله. والثاني: أنه تكلّفه في مخاطبته، وهذان الوجهان من السجع مذمومان. وفي قوله: "كسجع الأعراب" إشارة إلى أنَّ بعض السَّجْع هو المذموم. مسلم بشرح النووي، ٦/ ١٩٤، ١٩٥.

أعـوذ بـك أن أَضِـلَّ أو أُضَـلّ، أو أَزِلّ أو أُزَلّ، أو أَظْلِـمَ أو أُظْلَـم، أو أَجْهَـل أو يُجْهَـل عليَّ»[١].

وانظر هذا السجع الرشيق الخفيف في قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم»[٢].

ثم تأمّلْ جمال السجع وعذوبته، ويُسْرَه وجَرَيانه على اللسان وسلاسته، في قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[٣].

ولا أراك تُمَاري في كون هذه السجعة تزيدُ في الخشوع، وتُعَجِّل بشفاء الموجوع: «أعوذ بكلمات الله التامّة، من كلِّ شيطان وهامّة، ومن كلِّ عين لامّة»[٤].

وأين سجعُ أرباب الفصاحة والبلاغة من قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم ربّ السماوات السبع، وما أظللنَ، وربّ الأَرَضين، وما أقللن، وربَّ الشياطين، وما أضللن، وربَّ الرياح وما ذَرَيْنَ، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرِّها وشرّ أهلها، وشرِّ ما فيها»[٥]. إنه سَجْعٌ سَهْلٌ ليس فيه كبيرُ عمل، جلبه –أو معظمه– الضمير، ومع ذلك لن ترى مثل هذا الانسجام بين العبارات، والتوازن بين الكلمات، والتآخي بين الحروف والأصوات.

ومن السجع الخفيف المليح دعاؤه –صلّى الله عليه وسلَّم–: «اللهمَّ إنّي أعوذ بك من جَهْدِ البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[٦].

---

[١] عون المعبود، ص ٢١٧٦.

[٢] عون المعبود، ص ٢٣٥.

[٣] عون المعبود، ص ٦٩٢.

[٤] فتح الباري، ٦/ ٣٦٠.

[٥] المستدرك على الحاكم، ٢ / ١٢٢.

[٦] فتح الباري، ١١/ ١٦٧.

ومثله في الرشاقة والخفّة والجمال وعَدَم التكلّف قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم إنّي أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»[١]. إنه سجع من صنع ضمير الخطاب، ليس فيه تقعير، ولم يَعْرِف التصنّع.

ومن السجعات التي تطرب لها الآذان، ومن ثَمَّ يخشع القلب –وأدعيته كلُّها هكذا– قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا خشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا تسمع»[٢]. أَضِفْ إلى هذا السجع ذلك التوازن العجيب بين الجمل؛ فهي جملْ قصيرةٌ ذاتُ إيقاع واحد، تتكون من:

مِنْ + اسم نكرة + لا النافية + الفعل المضارع

من	علمٍ	لا	ينفع
من	قلبٍ	لا	يخشع
من	نفسٍ	لا	تشبع
من	دعوةٍ	لا	تُسْمع

وهذا الإيقاع البديع تجده أيضًا في قوله –عليه الصلاة والسلام–: «اللهم إنِّي أعوذ بك من شرِّ سَمْعي، ومن شرِّ بصري، ومن شرِّ قَلْبي، ومن شرِّ منيّي»[٣].

وإنْ أردتَ مثالاً لسَجْع سَهْلٍ ليس بالعَسِر، صَفْوٍ ليس بالكدِر، حقٍّ يَهْدِمُ البَطَر، فدونك قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «يا أرض ربِّي وربُّك الله، أعوذ بك من شرِّك وشرِّ ما فيك، وشرِّ ما خُلِق فيك، وشرِّ ما يَدُبُّ عليك، أعوذ بك من أَسَدٍ وأَسْوَد، ومن الحيّة والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والدٍ وما ولد»[٤].

٧– التأكيد:

---

[١] مسلم بشرح النووي، ٩/ ٦٣.

[٢] نفسه، ٩/ ٤٨.

[٣] المستدرك على الصحيحين، حديث: ٢٠٠٥، ١/ ٧٢٣. وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[٤] المستدرك على الصحيحين، حديث: ٢٥٤٢، ٢/ ١٢١. وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الناظرُ في أحاديث الاستعاذة يجد التأكيد من أكثر الأساليب دورانًا فيها، وهذا له ما يفسِّره –كما سيأتي–، ومن أهمِّ طرقه: التأكيد بـ "إنَّ"، والتكرار لبعض الكلمات أو العبارات.

أ– التأكيد بإنَّ:

أكثر الأدعية مُؤكَّدة بـ "إنَّ"، والسرُّ في هذا أنَّ الداعي يؤكّد احتياجه لربِّه – سبحانه وتعالى– في كلِّ دعاء يدعوه؛ فهو في احتياجٍ دائم لحماية ربِّه وعونه وتوفيقه، يحتاج سيّده وخالقه في أن يدفع عنه شرور نفسه، وشرور الشيطان، وشرور الآخرين، وأن يدفع عنه الفتن، وينجيه من العذاب. والصورة الغالبة هي مجيء "إنّ" قبل الفعل المضارع "أعوذ"، ومن أمثلة هذا[1]:

– «اللهم إنّي أعوذ بك من الخبث والخبائث».

– «اللهم إنِّي أعوذ بك أن أَضِلّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَجْهَل أو يُجْهَل عليَّ».

– «اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، من فتنة المحيا والممات، ومن شرّ المسيح الدجَّال».

– «اللهم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر».

– «اللهم إنّي أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أُرْسلت به، وأعوذ بِكَ من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به».

– «اللهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السَّفَر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل ...».

---

[1] تقدّم تخريج هذه الأدعية أكثر من مرَّة؛ فلا حاجة للتكرار مرّةً أخرى.

عَلَى أنه جاء تأكيدٌ بـ "إنَّ" من دون "أعوذ" في مواضع، منها قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «يا عائشة استعيذي بالله من شرِّ هذا؛ فإنَّ هذا الغاسق إذا وَقَب»[١]. والغاسق –كما تقدَّم– هو الذي يُظْلِم، كالقمر والليل والنجم، وحينئذ تنتشر الشرور، فيلجأ الإنسان إلى ربِّه ليعصمه منها، ولعلّك هنا لاحظت أن الخبر خرج عن مقتضى الظاهر، فالسيدة عائشة –رضي الله عنها– ذهنُها خالٍ، لكنْ لمّا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر نَزَلَتْ منزلة السائل المتردّد، فكأنها قالت: لماذا يا رسول الله؟ ومن ثَمَّ أُكِّد لها الخبر[٢].

وكان –صلّى الله علهي وسلم– يُعَوِّذ الحسن والحسين ويقول: «إنَّ اباكما كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامّة من كلِّ شيطان وهامّة ومن كلّ عين لامّة»[٣]. إنه تأكيدٌ لشرف هذه الكلمات وامتداد نفعها؛ إنه نَفْعٌ موصولٌ من لدن إبراهيم – عليه السلام– إلى نبيّنا –صلّى الله عليه وسلم–، وتأكيدٌ أيضًا لخطورة هذه الأمور، ولعلّ ذكر هؤلاء الأنبياء –عليهم السلام– مما يملأ قَلْب الداعي والراقي يقينًا واستبشارًا، وهذا ما يُسَمُّونه بحجّة السلطة.

ولا زلنا مع العَيْن وخطرها؛ ومن ثَمَّ فقد حثَّ النبي –صلّى الله عليه وسلم– أصحابه على الاستعاذة منها، فقال: «استعيذوا بالله من العين؛ فإنَّ العَيْنَ حقٌّ»[٤]. وقد أنزلهم منزلة السائلين المتردّدين، واكّد لهم خطرَ العين، ولا يماري ذو بَصَرٍ وعَقْلٍ في

---

[١] تحفة الأحوذي، ص ٢٤١٨.

[٢] انظر في خروج الخبر عن مقتضى الظاهر: المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب (علي حسن)، د. ت، ص ١٠.

[٣] فتح الباري، ٦/ ٤٦٠.

[٤] سنن ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)، كتاب: الطب، باب: العين، حديث: ٣٥٠٨، شروح سنن ابن ماجة، ص ١٢٩٤، وصححه الألباني في الصحيح (٧٣٧).

خطورة العين، وكيف يماري وهو يسمع حديثه –صلّى الله عليه وسلم–: «العين حقّ، تُدْخِلُ الرجلَ القَبْر والجَمَلَ القِدْر»[١].

ويتعوّذ –صلّى الله عليه وسلم– من جار السُّوْء في دار المقامة، فإنَّ جارَ البادية يتحوَّل»[٢]. ويجيبُ النبي –صلّى الله عليه وسلم– عن سؤال دار في أذهان الصحابة –رضي الله عنهم–: لماذا التخصيصُ بـ "دار المقامة" مادام السوء موجودًا في كلٍّ؟ نعم، السوء موجودٌ في كلٍّ، لكنّه في البادية سرعان ما يزول بالرحيل والانتقال، وهذه طبيعة البادية، أمّا السوء في دار الإقامة فإنه مقيمٌ لا يرتحل ولا يفارق، بل إنه حريصٌ على الوَصْل أيّما حِرْص!.

ب– التكرار:

التكرار بغيتُه التأكيد، وله أشكال متعدّدة: تكرار للدعاء كلّه، وتكرار لكلمة، وتكرار لجملة.

ومن أمثلة **تكرار الدعاء كلّه** قوله –صلّى الله عليه وسلم–: «من قال حين يُمْسِي: أعوذ بكلمات التامّات من شر ما خَلَقَ، **ثلاث مرّات**، لم تضرّه حية إلى الصباح»[٣]. وقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهمَّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت، تعيدها حين تصبح ثلاثًا، وثلاثًا حين تُمْسِي»[٤]. وقوله: «ضَعْ يَدَك على الذي تألَّم من جَسَدك، وقل: بسم الله، **ثلاثًا**، وقل **سبع مرّات**: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[٥]. والأمثلة على هذا كثيرة.

---

[١] حسّنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٤١٤٤، ص ٧٦١.

[٢] المستدرك على الصحيحين، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث: ٢٠٠٣، ١/ ٧٢٣، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[٣] المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٧٧.

[٤] عون المعبود، ص ٢١٦٩.

[٥] مسلم بشرح النووي، ٧/ ٤٤٦.

ولا نغالي إذا قلنا بأن التكرار مطلب أساسي في الدعاء؛ فإنَّ الإلحاح في سؤال الله –عز وجل– أمرٌ محمود، والداعي ينبغي له أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الفقر لله –سبحانه وتعالى–، وفي الحديث: «يُسْتجاب لأحدكم ما لم يعجلْ، يقول: دعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لي»[١]. وكان –صلّى الله عليه وسلم– «إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا»[٢].

وقد تتكرّر **الجمل في الدعاء الواحد**، ويكون لذلك دلالات قوية، ومن أمثلة ذلك: تكرار جملة "لا إله إلا أنت"، تقول: «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، **لا إله إلا أنت**، تعيدها ثلاثًا حين تصبح، وثلاثًا حين تُمسي، وتقول: اللهم إنّي أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب القبر **لا إله إلا أنت**»[٣]. هذه الجملة تكرّرت مرّتين، أضف إلى ذلك أن الدعاء يكرّر كله ثلاث مرات، إذن هذه ستّ، والدعاء يقال في الصباح والمساء، فالمجموع حينئذ اثنتا عشر مرة، والداعي يتوسّل بين يدي دعائه بهذه الجملة، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، فتوسُّله إذن بتوحيد الله، وليس هناك عمل أرجى من هذا العمل، والعبد إذا تمسّك به وقام بما تقتضيه هذه الكلمة لا شك أنه سينال خيري الدنيا والآخرة، من المعافاة في البدن والسمع والبصر، والنجاة من الفقر لاسيّما فقر النفس، ومن الكفر، ويقوده ذلك إلى العتق من عذاب النار وعذاب القبر.

ومن **الكلمات** التي تكرّرت في أدعية كثيرة كلمة "**أعوذ**"، وقد كان يكفي ذكرها مع أوّل مستعاذ منه وعطف البقية من غير تكرارها، لكنها ذُكِرت مع كلٍّ مستعاذ منه بعد حرف العطف، وذلك كقوله –صلّى الله عليه وسلم–: «اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، أللهم إني

---

[١] البخاري، كتاب: الدعوات، باب: يُستجاب للعبد ما لم يعجل، حديث: ٦٣٤٠، فتح الباري، ١١/ ١٥٩.

[٢] صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، حديث: ١٧٩٤، مسلم بشرح النووي، ٦/ ٣٩٢.

[٣] عون المعبود، ص ٢١٦٩.

أعوذ بك من المأثم والمغرم»[١]. إنه لجوءٌ إلى الله واعتصام به متجدّد مؤكّد في كلّ لحظة، وافتقار وانكسار لا ينفكُّ عنه الداعي في كلّ دعوة، والإلحاح –كما سبق– مطلب أساسي في الدعاء، وأَدَبٌ من آدابه.

وتكرررت "أعوذ" في قوله –صلّى الله عليه وسلم– أيضًا: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أُحْصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وثمَّة مواضع أخرى يضيقُ عنها المقام، وفي الإشارة كفاية.

وتكررت كلمة "شر" في دعائه –صلى الله عليه وسلم–: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من شرِّ سمعي، ومن شرِّ بصري، ومن شرِّ لساني، ومن شرِّ قلبي ومن شرِّ منيي»[٢]. هذه الجوارح فيها الخير والشر، تُرَقِّي الإنسان إلى رضوان الله، إنْ استُعملت فيما يُرضيه، وتجرُّ عليه غضب الله وسخطه، إنْ سلك بها صاحبُها سبيل العِصْيان والحرمان؛ ولذا وقع التقييد بالشر موقعًا حسنًا؛ فنحن نسأل خيرها ونستعيذ من شرِّها.

وفي دعاء النَّوْم نرى تكرارًا لكلمة "ربّ": «اللهم ربَّ السماوات والأرض، وربّ كلِّ شيء ...». الرَّبُّ هو الذي يُرَبِّي العالمين بنعمه، ويصلح شؤونهم ويتولّى أمرهم، والربّ هو السيّد المطاع، الذي بيده الخلق والأمر والرزق والضّر والنَّفْع، والإحياء والإماتة، وقمينٌ بمن قدَّم توسّله بإيمانه بربوبية الله –عزّ وجل– بين يدي دعائه واستعاذته، أنْ يعصمه الربُّ مما استعاذ منه

٨– الطباقُ والمقابلة:

الطباق هو الجمع بين الشيء ومقابله أو الشيء وضدّه، وقد يكون الشيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين. وهو نوعان: إيجاب، كالجنّ والإنس، وسَلْب، كـ "يعلمون ولا يعلمون". والمقابلة أن يُؤتى بمعنيين فأكثر ثم بما يقابل هذه المعاني.

---

[١] فتح الباري، ٢/ ٣٦٧.

[٢] عون المعبود، ص ٦٩٤.

ويُشْتَرط لجودتهما (الطباق والمقابلة) كون النظم الذي جاءا فيه مطابقًا لمقتضى الحال، مع الخُلُوِّ من التعقيد والصنعة والتكلّف[١].

والطباق والمقابلة يحدثان نمطًا من الإيقاع عجيبًا، يساعد في ثبات المعنى ورسوخه في النفس، ومردُّ ذلك الإيقاع إلى المناسبة بين الألفاظ في الجمل والعبارات، أو بين الجمل والعبارات أنفسها. والتناسب –كما هو معروف– لفظيٌّ ومعنويٌّ، اللفظي كالسجع والازدواج، والمعنوي –وهو ما يعنينا أو يعنينا جزءٌ منه– يأتي على صورتين إمّا على جهة الموافقة، وإمّا على جهة المخالفة. أو بمعنى أوضح، أن يكون معنى كل لفظة من اللفظتين المتناسبتين مقاربًا أو مطابقًا لمعنى الأخرى، أو أن يكون مضادًّا لها أو قريبًا من ذلك، وقد اتفق أكثر النقاد على تسمية هذا النوع بالطباق، أما النوع الأول فسمّوه جناسًا[٢].

والطباق والمقابلة جاءا بكثرة في الاستعاذات، ولم يكن هذا المجيء عاديًا، وإنما كان مجيئًا ذا بهاءٍ وحُسْن، مجيئًا يجعلك تحيط بالمعنى من جميع جوانبه، فلا يجدُ عَقْلك صعوبة في فهمه واستيعابه، بل إنه يُضطر إلى استجلائه اضطرارًا، استمع إلى دعائه – صلّى الله عليه وسلم– في السجود، يقول: «اللهم إنّي أعوذ برضاك من سخط، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٣]. أُعيذك بالله أن تمرَّ على مواطن الجمال ولا تراها، ألا ترى هذا البيان الفصيح واللفظ المليح؟ الرضا والسخط ضدّان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فاستعاذ من أحد الضدّين بالآخر، فلمّا صار إلى ذكر ما لا ضدَّ له –وهو الله سبحانه وتعالى– استعاذ به منه لا غير.

ثُمَّ انظر إلى جمال الطباق والمقابلة في هذا الدعاء: «اللهم إنِّي أسألك من الخير كلِّه عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كلِّه عاجله وآجله ما

---

[١] البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، ص ٢٧٩.

[٢] في نظرية الأدب، الجزء الأول (من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم)، للدكتور عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧م، ص ٩٧.

[٣] مسلم بشرح النووي، ٢/ ٤٤٠.

علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وماقرّب إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمّد، وأعوذ بك من شرِّ ما استعاذ منه عبدُك ورسولك محمّد»[١]. فعلى الرغم من أنّها طباقات ومقابلات متداخلة فإنها نَبَتْ عن التعقيد، وارتفعت عن التكلّف، وجافت التقعّر والتشدّق، وجَرَتْ على اللسان جريان السلسبيل؛ فليس لها نظير ولا بديل، أفلا تكون مع كلِّ هذا شفاءً للعليل؟!

وفي دعاء النوم: «... أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أَنْت آخذٌ بناصيته، أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنِّي الدين وأغنني من الفقر»[٢].

عبودية الله باسمه "الأوّل" تقتضي التجرّد من مطالعة الأسباب والوقوف عندها والالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرّد سبق فَضْلِه ورحمته وأنه المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، فمنه الإعداد ومنه الإمداد، وفَضْلُه سابق على الوسائل. وعبوديته باسمه "الآخر" تقتضي عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فهي تُعْدَم لا محالة، وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بَعْدَها. فالله–عز وجل– هو الأول والآخر، ابتدأ منه الأمر وإليه يَرْجِع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبَبَ ولا وسيلة، وإليه ينتهي الأمر حيث تنتهي الأسباب والوسائل[٣].

والله –عز وجل– هو "الظاهر" فليس فوقه شيء، له العُلُو المطلق على عبيده، وهو "الباطن" فليس دونه شيء، فهذه الأسماء الأربعة مدارها على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية، فأحاطت أوليته وآخريته بالقبل و البعد، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكلِّ ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فَوْقَه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أوّل إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بَعْدَه، فالأوّل قِدَمُه، والآخِر دوامُه وبقاؤه،

---

[١] المستدرك على الصحيحين، ١/ ٧١٠.

[٢] عون المعبود، ص ٢١٦١.

[٣] طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ت ٧٥١هـ)، ص ٣٧ وما بعدها.

والظاهر علوُّه وعظمته، والباطن قُرْبُه ودُنُوُّه[١]. فانظر كيف سبَّبَتْ هذه المقابلات تلك المعاني العظيمة، التي متى استقرّت في قلب العبد حصَّل خيرًا عظيمًا.

٩ – طولُ الاستعاذاتِ وقِصَرُها:

أكثر الاستعاذات قصيرة جاءت في سطر واحد أو سطرين، وأحيانًا تطول فتصل إلى ستة أسطر أو سبعة أو ثمانية، كما في الدعاء الجامع الذي علّمه النبي –صلى الله عليه وسلم– السيدة عائشة –رضي الله عنها–، وكما في دعاء السفر، وكما رأينا في بعض أدعية الصباح والمساء.

ولهذا القصر أسبابٌ منها: أنّ هذا هو الأصل؛ فالأصل في البلاغة الإيجاز، والنبي –صلى الله عليه وسلم– أبلغ الناس، آتاه الله جوامع الكلم، وأحاط بالعربية وامتلك زمامها، فجاء كلامه موجزًا مقتصرًا على ماهو من طبيعة المعنى في الألفاظ، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها، ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام. وهو –أي كلامه– مع ذلك يتميّز بالاستيفاء الذي يخرج به الكلام على حذف فضوله وإحكامه ووجازته مبسوطَ المعنى بأجزائه ليس فيه خداج، ولا إحالة ولا اضطراب، حتى كأنّ تلك الألفاظ الكلية إنما رُكّبت تركيبًا على وجهٍ تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس، فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ تمثّل المعنى وأتمّه في نفسه على حسب ذلك التركيب فوقع إليه تامًّا مبسوط الأجزاء[٢].

وكم رأينا من مؤلَّفات دار الواحد منها بكامله على شرح حديث من الأحاديث، وأيضًا من يطالعْ المجلات العلمية يجدْ كثيرًا من المقالات الرائعة في تحليل حديث أو جزء منه، ولولا ضيق المقام لذكرتُ طرفًا من ذلك. والنصّ الحديثي كلما تدبرته استخرجت مكنونه من الدرر والجواهر، ويزداد مع طول التأمل بريقًا ووضاءة، كما يزداد متأمِّله علمًا وفهمًا وحكمة؛ فهو معين لا ينضب أبدًا، ويعرف ذلك المشتغلون به والعاكفون على درسه.

---

[١] نفسه، ص ٤٧.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، ص٣٣٨، ٣٣٩ .

ومن أسباب وجازة الحديث واختصاره اختصارًا الرغبةُ في أن يكون أسرع إلى فهم الفاهمين، وضبط الضابطين، وتناول المتناولين؛ فيعم النفع، وتحصل الفائدة، ونصل إلى المقصود.

10- أثَرُ هذه الأدعية:

المقصود بالأثر هنا الأثر البلاغي والأدبي للخطاب، ولا يمنع وجود اللازم الإلهي، أعني حفظ الله –عز وجل– واستجابته لمن يدعو بهذه الأدعية، لا يمنع هذا من وجود اللازم البلاغي، أعني التأثير في نفسَي القائل والسامع، وأجد من الصعوبة بمكان التفريق بين الأثرين وفصلهما في هذا المقام؛ فالأدعية أثّرت في نفس قائلها وفي نفس مَنْ يُخاف شرّه وأذاه، وصاحب ذلك كلاءةُ الله –عز وجل– لقائلها وحفظه له.

ونستطيع أنْ نرصد بعضَ أثرٍ لهذه الأدعية والاستعاذات، وبخاصة في تلك التي كان سببُها شكاةَ بعض الصحابة –رضي الله عنهم– إلى النبي– صلّى الله عليه وسلم– من أمور مكروهة آلمتهم، وعوارض ألمّت بهم فأفزعتهم، وحين رَوَوْا هذه الأدعية بعد ذلك ذكروا معها بعضَ أثرها، وما كان معهم من أمرها، وهذه الآثار الإيجابية الطيبة تشي بقوّةٍ كامنةٍ في لفظ الاستعاذات ومعناها، ومن ثَمَّ كانت سببًا قويًّا في دفع مكروهٍ ومرهوبٍ، وتحصيل محبوب ومرغوب.

ومن هذه الآثار التي حُفِظت لنا ما جاء في دعاء دخول المسجد، وفيه: «فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مِنِّي سائر اليوم»[١]. هذه الكلمات اليسيرة المباركة جَلَبَتْ لصاحبها حفظًا ورعايةً سائرَ يومه.

ولمّا اشتكى الصحابي عثمان بن أبي العاص –رضي الله عنه– من وسوسة الشيطان له في صلاته أمره النبي –صلّى الله عليه وسلم– بالتعوّذ بالله منه وأن يَتْفل عن يساره ثلاثًا، وامتثل الصحابي –رضي الله عنه– بيقينِ قلبٍ وخشوعِ جَوَارح فأذهب الله عنه ما يجده[٢].

---

[١] عون المعبود، ص ٤٦٦.

[٢] مسلم بشرح النووي، ٧/ ٤٦٦.

وجاء خالد بن الوليد –رضي الله عنه– إلى النبي –صلّى الله عليه وسلم– يقول: إنّي أفزع بالليل فآخذ سيفي، فلا ألقي شيئًا إلا ضربته بسيفي. فأرشده النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى ذِكْرٍ فيه النجاة والحياة، فقال الذكر وقد تواطأ عليه قلبُه ولسانُه؛ فذهب عنه فَزَعُه، وأَمِنَ سِرْبُه، وسَكَنَ قلبُه، وأَمِنَ جنابُه، وذهب ارتعابُه[١].

ومن المواضع التي حَفِظَتْ لنا أثرًا لهذه الأدعية ما جاء عن أبي التيَّاح قال: قُلْتُ لعبد الرحمن بن خنبش التميمي وكان كبيرًا: أدركتَ رسولَ الله –صلّى الله عليه وسلم–؟ قال: نعم. قلتُ: كيف صنع رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– ليلة كادته الشياطين، فقال: إن الشياطين تحدّرت تلك الليلة على رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– من الأودية والشِّعاب، وفيهم شيطان بيده شعلةُ نارٍ يريدُ أن يحرق بها وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهبط إليه جبريل –عليه السلام– فقال: «يا محمد، قُلْ، قال: ما أقول؟ قال: قلْ: أعوذ بكلمات الله التامّة من شرِّ ما خَلَقَ وذَرَأ وبَرَأ، ومن شرِّ ما ينزلُ من السماء، ومن شرِّ ما يعرج فيها، ومن شرِّ فتن الليل والنهار، ومن شرِّ كلِّ طارقٍ إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن». قال: فطُفئت نارُهم، وهزمهم الله –تبارك وتعالى–[٢].

إنه ليس شيطانًا واحدًا، إنما هي شياطين كثيرة تحدَّرت من الأودية والشعاب، واجتمع رأيهم على أذى النبي –صلّى الله عليه وسلم– بل أرادوا حَرْقَ وجهه الشريف – صلّى الله عليه وسلم–، فأدركه الأمين جبريل –عليه السلام– بما يردُّ كيدهم في نحورهم، ويَهْزِمُهم ويُطفئ نارهم، فانقلبوا خائبين مفلسين مُبلسين بحَوْلِ الله –عز وجل– ربِّ العالمين.

بَقِي إشكالٌ تنبغي إزالته وردُّه، وهو: إنْ كان لهذه الأذكار والأدعية أثرٌ قويٌّ في النفع والشفاء بإذن الله، فلماذا يتخلّفان فلا يجدهما كثيرٌ من قائلي هذه الأذكار؟ والجواب:

---

[١] المعجم الأوسط للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، ٥/ ٣١٥.

[٢] مسند الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، حديث: ١٥٥٣٩، ص١٠٨٢.وصحّحه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٨٤٠، ص٤٩٥.
خلق: قدَّر وأنشأ، وبرأ: جعل الخلقة مبرّأة من التفاوت، فجعل كلّ عُضْوٍ على ما ينبغي كونه، وذرأ: بثَّ الذراري في الأرض.

إنّ هذه الأذكار والآيات أو الأدعية التي يُستشفى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحلّ، وقوة همّة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلَّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المُنْفَعِل، أو لمانع قويّ فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأودية والأدواء الحسيّة، فإنَّ عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، أو لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره؛ فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرُّقي والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفسٌ فَعَّالة وهمّةٌ مؤثرةٌ في إزالة الداء[١].

[١] الداء والدواء، لابن القيم (ت ٧٥١هـ)، ص ١٢.

الخاتمة

وَصَل البحث إلى نهايته، ولا أزعم أنّي قد وَفَّيْتُ هذه الاستعاذات حقّها، كما لا أدّعي أنني وضعت يدي على كلِّ مواطن الجمال والتأثير فيها، وإنما حاولت ما وَسِعَني الحِوال، واجتهدتُ ما أسعفتني الآلة؛ فوقفت على بعض المعالم التي أرجو أن يهتدي بها اللاحق، وتوصّلت إلى بعض النتائج التي رُبَّما غَفَلَ عنها السابق، وهي:

١- أكثر الأدعية والاستعاذات جاء بالاسم الشريف "الله"؛ وذلك لأن هذا الاسم له خصائص لفظية تميّزه عن غيره، حاول العلماء حصرها، كما له من الخصائص المعنوية ما عجز جميعُهم عن بيانها، وفي الحديث: «لا أُحْصِي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

٢- استعاذاته -صلّى الله عليه وسلم- غَرَضُها تعليمُ أُمّتِه، وأيضًا سلوكُ طريق التواضع، وإظهار العبودية والخوف والإعظام والافتقار إلى الله -سبحانه وتعالى-.

٣- أغلبُ استعاذاته -صلّى الله عليه وسلم- جوامع كوامل؛ إذ جمعت الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، والثناء على الله -تعالى-، وآداب المسألة، جمَعَتْ خَيْرَي الدنيا والآخرة، لفظُها قليل وتحته معنى كثير.

٤- اللون البياني حضورُه متوسط في أحاديث الاستعاذة؛ سواء أكان تشبيهًا زاد المعنى وضوحًا وأكسبه تأكيدًا، أو استعارة رأيت بها الجمادَ حيًّا ناطقًا، والأعجمَ فصيحًا، والخفيَّ من المعاني واضحًا جليًّا، أو مجازًا مرسلاً أفاد تأكيدًا وإيجازًا ومبالغة.

٥- أمّا مراعاة النظير فوجودها قوِيّ؛ فالجمع بين الأمور المتناسبة المؤتلِفة المتآخية أنت واجدُه حيثما وجّهتَ وجهَك في هذه الأدعية.

٦- وما أكثر الأدعية التي استوفي فيها النبي -صلّى الله عليه وسلم- أقسام المعنى! فقد آتاه الله جوامع الكلم، وامتلك زمام البلاغة.

٧- والترقِّي من معنى لآخر في الخطاب يَشِفُّ عن عقلية مُنَظَّمة مُرَتَّبة، ومنْ يُطالِعْ أحاديث الاستعاذة فإنه -لا شكَّ- جازمٌ بأنه لا أحدَ يَبْلُغُ شَأوَه

–عليه الصلاة والسلام– في هذا الباب؛ أليس كلامُه قد حُفَّ بالعصمة وشُيِّد بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق؟

٨– ومن المقيِّدات التي حَضَرَتْ بقوة في أحاديث الاستعاذة "الصفة"، وهو حضور أثرى المعنى، وأثَّر جدًّا في نفس المتلقِّي.

٩– ولا يُنكر أحدٌ كثرةَ السجع في هذه الأدعية، لكنَّه –في الوقت نفسه– سَجْعٌ خفيف غيرُ متكلّف ولا مصنوع، جاء من غير قَصْدٍ إليه، ووقع في الأذن والنفس موقعًا حسنًا.

١٠– والتأكيد من أكثر الأساليب دورانًا في الاستعاذات؛ ومن أهم طرقه: التأكيد بإنّ، والتكرار لبعض الكلمات أو العبارات.

١١– وإذا ذَهَبْنَا إلى الطباقات والمقابلات في هذه الأدعية وجدنا لها أثرًا عميقًا في ثباتِ المعنى ورسوخه؛ إذ إنّها تُساعد المُتَلَقِّي في حَصْرِ جميع جوانب المعنى، ويتمُّ هذا من دون تكلّف أو تقعّر أو تصنّع.

١٢– وإذا كان كلُّ ما تقدّم نعتًا لهذه الأدعية –ولستُ شاكًّا في أنّ ما فات حصرُه يفوق بكثير ما وقعت عليه عينُ البحث– أَلَا يكونُ لها تأثيرٌ كبيرٌ في حال اجتماع قبول المحلّ وقوّة همّة الفاعل؟

١٣– وأخيرًا يُوْصِي البحث بدراسة الحديث النبوي بصفة عامة من الناحية الفنية والبلاغية؛ فإنه لم يَحْظَ بعناية الباحثين والدارسين الكافية.

المصادر والمراجع

١- أثر المقيّدات في تشكيل المعنى في سورة يوسف (دراسة بلاغية)، للدكتور صابر جويلي، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد الثامن، يناير ٢٠١٥م.

٢- الاستعاذات النبوية، جمع: علي حسن فرّاج، كتابٌ إلكتروني على الإنترنت.

٣- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤- أسرار البيان للصف الأوّل الثانوي الأزهري، للدكتور علي محمّد حسن العماري، الأزهر الشريف، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٥- الاسم الكريم الأعظم "الله" جلّ جلاله اشتقاقه وخصائصه النحوية والصرفية واللغوية، للدكتور عبد الله بن محمد بن جار الله النغيمشي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٧، (عدد يناير - مارس ٢٠١٩).

٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٧- أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٩- بدائع الفوائد، لابن القيم (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.

١٠- البرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

١١- البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، للدكتور فضل حسن عبّاس، دار الفرقان، ط١١، ٢٠٠٧م.

١٢- البيان والتبيين، للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٣- تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

١٤- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه: رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، د. ت.

١٥- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار السلام، ط٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٦- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

١٧- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٨- جواهر البلاغة، للهاشمي، ضبط وتدقيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٩- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، للدكتور كمال عز الدين، دار اقرأ، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٠- الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢١- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حِجَّة الحَمَوي (ت٨٣٧هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتورة كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢٢- خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.

٢٣- الداء والدواء، لابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد رضوان أحمد، مكتبة طالب العلم ناشرون، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٤- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د. ت.

٢٥- الدعاء في الحديث النبوي الشريف (أساليبه ودلالاته)، بحث لإكمال متطلبّات الماجستير، إعداد الطالبة: صباح أحمد سالم الشريف، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١ - ٢٠١٢م.

٢٦- روائع من أقوال الرسول -صلّى الله عليه وسلم- (دراسات لغوية وفكرية وأدبية)، لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٦، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٨- السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٩- السنن الكبرى للنسائي (ت ٣٠٣هـ)، حققه: عبد المنعم شلبي بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٤١هـ- ٢٠٠١م.

٣٠- شرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٩م.

٣١- شرح الطِّيبي (ت ٧٤٣هـ) على مشكاة المصابيح، المسمَّى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرّمة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٢- شرح الكِرْماني (ت ٧٨٦هـ) على صحيح البخاري، المُسَمَّى بالكواكب الدراري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٣- شرح شذور الذهب، لابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٩م.

٣٤- شروح سنن ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)، قدّم له وحقّقه: رائد بن صبري بن أبي عَلْفة، بيت الأفكار الدولية، د. ت.

٣٥- الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: عامر الجزّار، دار الحديث، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٦- الشوقيات، لأحمد شوقي، مؤسسة هنداوي، د. ت.

٣٧- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيّم (ت ٧٥١هـ)، حقّقه: محمد أجمل الإصلاحي، وخرّج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ.

٣٩- العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط١١.

٤٠- علم البديع، للدكتور صابر جويلي، دار المعرفة الجامعية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤١- علم البيان، للدكتور صابر جويلي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٣م.

٤٢- عُمْدة القاري شرح صحيح البخاري، للعَيْني (ت ٨٥٥هـ)، دار الفكر، د.ت.

٤٣- العمدة، لابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)، حقّقه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٤- عَوْن المعبود على سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أثر بن أمير العظيم آبادي، اعتنى به: رائد بن صبري بن أبي عَلْفة، بيت الأفكار الدولية، د. ت.

٤٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٤٦- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن عَلّان (ت ١٠٥٧هـ)، اعتنى به: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

٤٧- الفن ومذاهبه في النثر العربي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

٤٨- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، حقّقه وضبط نصّه: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٩- لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، د. ت.

٥٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، قدّمه وعلّق عليه: الدكتور بدوي طبانة والدكتور أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٥١- مجمع الأمثال، للميداني (ت ٥١٨هـ)، مكتبة الآداب، ط٢، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٥٢- مختارات من النثر العربي، للدكتورة وداد القاضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

٥٣- المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد كامل بركات.

٥٤- المستدرك على الصحيحين، للحاكم (ت ٤٠٥هـ)، دار الحرمين للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٥- مسلم بشرح النووي، دار أبي حيّان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥٦- مُسْند أبي داود الطيالسي (سليمان بن الجارود (ت ٢٠٤هـ))، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع دار هجر، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٧- مسند الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٨- المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب (علي حسن)، د. ت.

٥٩- المعجم الاشتقاقي المؤصَّل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠١٢م.

٦٠- المعجم الأوسط، للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦١- معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، للدكتور أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٢- موسوعة البلاغة، تحرير: توماس أ.سلوان، ترجمة: نخبة من المترجمين، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٦م.

٦٣- نتائج الفكر، للسهيلي (ت ٥٨١هـ)، حققه وعلّق عليه: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوّض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.